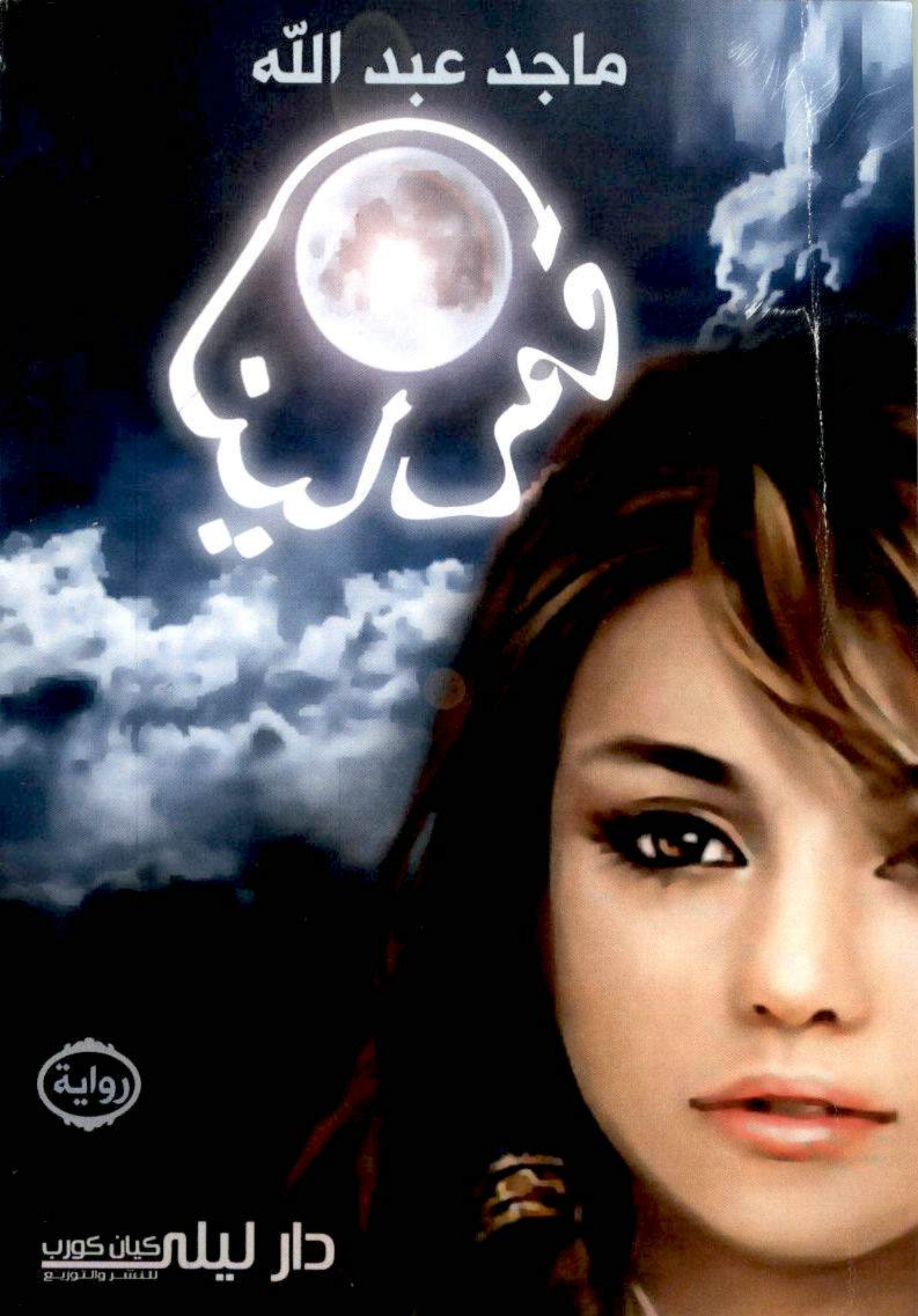

ماجد عبد الله
قمرينا
رواية
دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

قمر لينا

ماجد عبد الله

كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة
دار ليلى

الكتاب:
قمر لينا
المؤلف:
ماجد عبد الله
★★★
الغلاف:
محمد محمود
★★★
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila. com الموقع الرسمي: www. darlila. com

ماجد عبد الله

قمر لينا



هذه الرواية مقتبسة عن أحداث ومواقف في الحياة حقيقية بعضها عن أحداث شخصية والبعض الآخر عن حياة آخرين

ملحوظة :

أتمنى أن تعيش أيها القارئ كأحد شخصيات الرواية بين يديك ولك حرية الإختيار في النهاية

الإهداء

إلى كل من دعمني ووقف إلى جانبي في هذه الحياة ، إلى أبي وأمي العزيزين إلى قلبي

وأخي المخرج والنجم المنتظر... وإلى الأيام والحياة التي تعلمنا أبد الدهر، أهدي إليكم هذا العمل..

(1)

أحيانا بتيجي على الواحد لحظات يبكي الدموع من كتر الاحتياج لشخص مبقاش موجود في حياتنا أو يمكن ببساطة رحل إلى الأبد، تبقى محتاج لأي حاجة تفكرك بيه، أي وسيلة تفكرك بصوته وبشكله ولا تملك في النهاية إلا صورة واحدة بس تفضل ترجع بيها لذكريات عشتها معاه، وفجأة ترجع للواقع و تكتشف أن الماضي بحلوه و مره ،عمرك كله مش هتقدر تعيده تاني.

تخرج هذه الكلمات التي يعتصرها الحزن والألم من شادي في إحدى عيادات الطب النفسي بالمعادي ناظرًا من خلال النافذة المطلة على الشارع والذي بدا خاليًا من مظاهر الحياة اليومية في الصباح الباكر، وكعادة الدكتور مصطفى في العلاج النفسي يجلس في هدوء وعلى المنضدة بجانبه ملف شادي إبراهيم الذي يعالج من إدمان شرب الكحول ويعاني من بعض الاضطرابات النفسية، يفتح الملف ويقرأ قليلاً عن حالة مرضه وبرغم خبرته التي تتعدى العشر سنوات في العلاج النفسي فقد شعر أنه من الحكمة أن يستمع إلى قصة شادي وإلى السبب الذي دفعه إلى حالته هذه.

اعتدل الدكتور مصطفى في جلسته ولازال الملف في يديه وبعد لحظات قليلة من الصمت قال:

- وبعدين يا شادي؟ كمّل، بص علشان نبقى متفقين أنا عايزك

تتكلم وتطلع كل اللي جواك متخليش في نفسك أي حاجة خالص، إحكيلي كل حاجة من البداية، من الألف الى الياء

التفت إليه في هدوء وجلس أمام الدكتور مصطفى متكئًا برأسه على يده اليمنى، أخذ بعضًا من الوقت وبعد تنهيدة خرجت من أعماق جبال الحزن والاكتئاب بداخله قرر الاستسلام إلى هدوء معالجه الجديد الدكتور مصطفى في أولى جلساته معه وكنتيجة لهذا الاستسلام والهدوء الذي سكن الغرفة قال:

- زمان يا دكتور أيام والدي الله يرحمه قالي نصيحة، قال دايمًا حاول إنك تشوف أحسن الصفات في الناس وامسك في ابن الحلال لأنه أبقالك وابعد عن ابن الحرام لأنه في أي لحظة يخلى بيك، كانت دي أكتر نصيحة بيقولهالي ومكنش بيقولي أكتر من كده لكن حسيت إن في النصيحة دي مغزى كبير قوي أدركته بعدين، بعد وفاة والدي الله يرحمه فضلت سنين كنت حاسس فيها إني مختلف في عيون الناس، اختلافًا سلبيًا عمري ماحولت أفهمه لأني وصلت لدرجة القرف و الزهق وفضلت عايش حياتي بالطريقة دي كتير، قرفان من أي حد شايفني بطريقة سلبية، فيما عدا بنت واحدة بس استثنتها من ردة فعلي.

- بنت واحدة؟ ياترى مين؟

بعد برهة من الصمت:

- ليا.

يكتب الدكتور مصطفى اسمها في مكان معين في ملف شادي، فشيئ ما بداخله يخبره بأن هذه الفتاة المدعوة لينا هي سبب الاكتئاب والحالة النفسية التي وصل إليها شادي، فما بين إدمان الخمور و نوبات الغضب والتدهور النفسي والاكتئاب الحاد تكمن أحداث معينة في حياة مريضه البالغ من العمر **31** عام ،يحاول مجددًا الغوص في نفسيته قائلاً:

- وياترى كانت صاحبتك؟ هل كانت بتربطك بيها علاقة عاطفية مثلاً؟ إحكيلي

- كانت أكتر واحدة عندها طيبة وأمل في الحياة كانت مثالاً جميلاً جدًا في الجدعنة، عمري ماشوفت زيها أبدًا في حياتي ومش وارد أبدًا إني أشوف حد زيها تاني، كان في حاجة غريبة تخليك تتشد ليها، نوع من الحساسية لوعود الحياة، وكأنها زي الفايرس، الفارق بس إنها كانت سبب تديك أمل في بكره.

ينظر إليه مستغربًا وقد أغلق ملف حالته مجددًا قائلا:

- مممممم الكلام لحد دلوقتي جميل، تفتكر قابلتها أول مرة إمته وفين؟

سكت مجددًا مطلقًا تنهيدة من صدره المكلوم وقال:

- من حوالي أربع سنين في فندق هيلتون رمسيس في عبد المنعم رياض، كنت مقدم على وظيفة عن طريق واحد معرفة هناك، موظف في الريسبشن بمرتب كويس، ولجل صدفة الأقدار وبين كل الناس إللي

بتشتغل في الفندق كان مستقبلي تحت إشراف شخص ماكنتش لسه قابلتها، لينا

- آه... إذًا كانت زميلتك في الشغل

- زميلتي، آه كانت زميلتي فعلاً

ينهض شادي من مقعده الكائن أمام معالجه ويقرر التجول في الغرفة محاولاً إقناع نفسه أنه لا بأس في الإفصاح قليلاً عما في القلب وخفاياه وربما ساعده على ذلك مدى سعة الغرفة الخاصة بالدكتور مصطفى برغم كثرة الكتب الخاصة بعلم النفس وأوراق وملفات المرضى، وما يعطيه الضوء المريح للعين من هدوء يساعد بشكل أو بآخر حالته، تركه الدكتور مصطفى يتجول في الغرفة بهدوء كما يشاء فليس هو الشخص التقليدي الذي يجعل مريضه يستلقي على ظهره من أجل ممارسة عمله كطبيب نفسي بل حاول أن يكسر تلك القواعد فقط لكي لا يشعر شادي بدوره بأنه مقيد او تحت استجواب من نوع ما، ومن هنا أكمل قائلاً:

- بدأت الحكاية كلها في صيف **2012**، أياميها كان عمري **28** سنة، شاب بشرته بيضة زي الأجانب وأشقر، في بداية حياته لسه بيحاول يعافر في الدنيا علشان يعيش اليوم بيومه، مجرد شخص عادي ويمكن أبسط من العادي كمان، و زي ما أنت شايفني قدامك طويل وعريض وبعكس منظر شعري الطويل المبهدل ودقني إللي بطلت أحلقها، كنت معتدلاً في كل حاجة، شعري كان قصيرًا جدًا ودقني كنت بحلقها

باستمرار، باختصار كنت مهتم بمنظري وبحياتي، في اللبس في الأكـل في الشرب وكان لكل حاجة عندي حدود، حتـى كنـت زمـان بلعـب رياضـة وبشيل حديد، وبرغم ده كله مكنتش بتمتع بأي نوع من أنواع الرفاهية، كنت استقلت من شغلي في شركة سياحة وفضلت فترة صغيرة بدون شغل، أتذكر اني قدمت في كذا مكان وكلمت واحد صاحبي اسمه إبراهيم معرفـة اكتشفت فيما بعد أياميها إنه بيشتغل في هيلتون رمسيس إنه يشوفلي أي شغلانة عنده هناك و هو وعد بده، وفي يوم لقيت إبراهيم بيـصحيني مـن النوم الصبح وكان بيتـصل بيـا بإصـرار وهـستيريا بـشكل غـير طبيعـي، حوالي أكتر من خمس مرات بيتصل بيا على الموبايل رديت عليـه بـصوت باين عليه النوم

- ألووو
- يخرب بيت سنينك يا شيخ إنت نايم؟ فوق واصحى كده
- صباح الخير يا إبراهيم
- بلا صباح بلا مسا فوق كده واسمعني علشان الصنارة غمزت
- مش فاهمك على الصبح أنجز
- إنت هتشتغل في الريسبشن عندنا في هيلتون رمسيس

سكت وكأن شومة خبطت راسي لدرجة إني مستوعبتش الموقف، كنت لسه على السرير وأنا بكلمه وقلت لنفسي أكيد أنا بحلم

- إنت معايا يابني؟ ألوووووو

- وحياة أبوك يا إبرهيم إنت بتتكلم بجد؟

- يعني هتصل بيك الساعة ستة الصبح أهزر معاك يعني، بقولك إيه نط في أي بدلة شيك كده علشان هتقابل المدير واستنضف متفضحناش أنا هكون هناك في خلال ساعة، قدامك أد إيه وتكون عندي؟

- يعني ساعة كده

- أوك سلام

إبراهيم كان بيشتغل أمن جوا الفندق وبرغم إن العمر تقريبًا واحد ومشوفتوش بقالي سنين من ساعة ماتخرجنا من الجامعة و دفش في كلامه في بعض الأحيان إلا إنه رجوله في مواقف كتير.

قمت من سريري و أنا بسترجع كل كلمة قالها إبراهيم ولسه مش مصدق، وعلشان الوقت دخلت آخد دش ولبست بدلتي بسرعة وخرجت من الغرفة

كنت عايش أنا ووالدتي بس في حدايق الأهرام في شقة 167 متر،وبعد ماخلصت أمي صلاة الصبح بصتلي باستغراب وقالت:

- بسم الله الرحمن الرحيم. إيه إللي صحاك بدري يابني وإيه إللي ملبسك البدلة دي على الصبح؟

قعدت جمبها على الأرض وبوست إديها ورديت:

- إدعيلي، إبراهيم جابلي شغل عنده في هيلتون رمسيس

والمفروض أقابل المدير، هشتغل موظف استقبال ريسبشن يعني

- بجد؟ ربنا يفتحها عليك يابني ويرزقك برزق واسع

وخرجت من البيت وركبت تاكسي يوديني على هناك وفضلت أضرب أخماس في أسداس لحد مانزلت نزلة التحرير من الدائري وقررت أكلم إبراهيم علشان أكسر الرهبة إللي جوايا

- ألووو، أيوه يا إبراهيم
- وصلت فين دلوقتي؟
- أنا نزلت نزلة التحرير 5 دقايق ويمكن أقل وأجيلك
- طيب حلو قوي أنا هستناك بره أهو

وفعلا وصلت، وزي ما أنت عارف يادكتور الفندق متحاوط بسور حديد لازم تعدي من بوابته إللي قصداها فرد أو اتنين أمن مع كلاب حراسه عديت من ده وكان إبراهيم مستني عند باب الفندق بالضبط وبعد السلام والأحضان قالي إن المدير حصلتله ظروف فهيتأخر ويمكن ميجيش أصلا ولكن هو حط كل الصلاحيات تحت إيد أشطر موظفة عنده وشاورلي عليها

كانت واقفة بره بتتكلم في التيلفون

- ياحبيبي
- إيه مالك؟
- هي دي إللي هقابلها يإبراهيم؟

- آه هي، اسمها لينا

فضلت أتأمل في جمالها يا دكتور وقلت لنفسي أكيد ربنا استجاب لدعوة أمي، كان باين عليها الهدوء، مش لبط ولا من الناس إللي تلعب بيك علشان تطيرك من المكان و السلام، حاجة جوايا خلتني أتوسم فيها الخير وأطمنلها

كانت واقفة بتتكلم في الموبايل وبتبص للسما، حسيت لحظتها إن لينا بتحاول توصل لفوق للسما الصافية

عاد شادي مجددًا إلى صمته للحظات وقد أعاد التفكير في مسألة استرجاع الأحداث قائلا بشكل فيه شئ من الحسم والرفض:

- أنا مش عايز أتكلم في الموضوع ده يا دكتور

شعر الدكتور مصطفى أن هناك شيئًا ما حدث، شئ ما يؤلم لدرجة تمنعه من الحديث عن الماضي، حتى جاءته فكرة، فكرة ربما تريح شادي إلى الأبد، وقف أمامه مبتسمًا وقال:

- يبقى اكتب عن الموضوع ده

- اكتب؟ وأنا ليه أعمل كده؟

توجه الدكتور مصطفى إلى مكتبته وأخرج منها عدة أوراق بيضاء مفسرًا له:

- يا سيدي إذا مكنتش مرتاح إنك تتكلم معايا وتفضفض يبقى فضفض على الورق

- أنا عمري مكنت نافع في حكاية الكتابه والتعبير دي

- مافيش حد هيقرأ إللي كتبته أصلا لأنك لما توصل للنهايه ممكن تحرق الورق ده

نظر شادي إلى الدكتور مصطفى وقد رسم على وجهه ابتسامة ضعيفة ممزوجة بالألم في حين أن الدكتور مصطفى نفسه ظل مبتسمًا له لإعطائه جرعات مضاعفة من الاطمئنان أن ما سوف يبوح به على الورق ولا يستطيع البوح له شخصيًا لن يطّلع عليه أي مخلوق.

- اكتب عن إيه؟

وضع الأوراق أمامه وأعطاه قلمه وقال:

- أي حاجة تخطر على بالك، ذكرى، فكرة ،أو مكان، أي حاجة تيجي في بالك اكتبها ببساطة.

شئ في داخله دفعه إلى الاقتناع بهذه الفكرة فما المانع أن يكتب مأساته على أوراق بيضاء ومن ثم يصبح مصير ماكتب هو الحرق ربما ببساطة هو السبيل الوحيد لغسل الهم واستئصال الحزن في قلبه من جزوره، يجلس على مكتب الدكتور مصطفى مفتشًا في الماضي عن البداية سائلا نفسه ذلك السؤال من أين أبدأ؟

وجد نفسه ممسكًا القلم وشرع في الكتابة:

سأحاول أن أسرد حقائق علاقتي بها، بمعنى أدق حقيقة حياتها الشخصية و حبها بكل ما أستطيعه من صراحة وصدق فأنا أؤمن بأن

علاقتي بها لم يسبق لها مثيل وربما ما سأقوله لكم يوثق سجلا ثمينًا لأحداث ومشاعر لا أرغب في نسيانها أبدًا.

قال لي الدكتور مصطفى أن أكتب كل ما في داخلي على هذه الأوراق ومن ثم أحرقها ببساطة، لقد أعدت التفكير في الأمر، سوف أكتب كل شئ ولكن لن أحرق هذه الأوراق فقد يشاء رب العالمين عز وجل أن تكون هذه الكلمات التي سوف أكتبها سبيلا لتبرأتها أمام كل من كان له علاقة بها وظلمها.

كنت قد تحدثت مع الدكتور مصطفى عن بداية رؤيتي للينا تلك الفتاة التي لم ولن أنساها أبدًا وقد توقفت في الحديث معه عندما قابلت صديقي ابراهيم عند بوابة فندق هيلتون رمسيس وكانت هي تقف خارجًا أيضا تتحدث في هاتفها المحمول.

كان المكان في عز ذروته في العمل أمام السياح الأجانب والعرب من كل مكان في العالم وبطبيعة الحال فإن عملي كموظف استقبال في فندق هيلتون رمسيس سيجعلني أرى العالم من خلال عين شاب أعذب لم يرى كثيرًا من هذه الدنيا.

و برغم أنني أعاني من الوحدة القاتلة دومًا إلا أنني شعرت أن وظيفتي الجديدة سوف تؤمن لي علاقات جديدة وواسعة وكانت البداية معرفتي بها.

كنت قد تسمرت في مكاني أحدق فيها لدرجة أن إبراهيم كان يتحدث

إلي ولم أكن أعره أي انتباه و في الحقيقة لم أكـن أدري عمـا كـان يتحـدث بالتحديد

- شادي، يا شادي، أنت يابني روحت مني فين؟
- هاااا، أنا؟ آه آه معاك معاك
- معاك معاك؟ والله شكلك هتودينا في داهيـة، بقولـك إيـه ركـز معايا وحياة أبوك دي فرصة متتعوضش ومحدش لاقي شغل اليـومين دول فركز كده وشد حيلك، بص أهي خلّصت تيلفونـها أهي تعالى معايا أعرفك عليها

أمسكني إبراهيم من يدي ومشى بخطوات سريعة نحوها تلك اللحظة شعرت أن إبراهيم متحمس أكثر مني أنا المتقدم لتلك الوظيفة حتى أنـني سمعت صوت والدي رحمة الله عليه حينما نصحني وهو على فراش الموت قائلا:

(دايمًا حاول إنـك تـشوف أحـسن الـصفات في النـاس وامـسك في ابـن الحلال لأنه أبقالك)

كانت لينا تماثل في المظهر ممثلة السينما الأمريكية أنجلينا جولي إلى حد ما، على الأقل كنت أراها أنا كذلك، فثمة ما يوحي بالطبيعة الغربية في مظهرها. كان لون بشرتـها قمحيًا بشعرها البني الأخّاذ تتمتع بملامـح جميلة جدًا ولم يقتصر الأمر على ذلـك فحـسب بـل إن جـسدها وقوامهـا الممشوق يبدو غربي الملامح وفي ذلك الوقت لم يكن في اسـتطاعتي سـوى أن

أتخيل جمال طباعها بالقدر الذي تتمتع به من جمال الجسد.

أخذ إبراهيم المبادرة قائلا:

- صباح الخير يا لينا

- أهلا يا إبراهيم صباح النور أخبارك إيه؟

- الحمد لله، ده شادي إللي كنت كلمت أستاذ حسن عليه بخصوص وظيفة الريسبشن وقال إن المفروض إنك تقابليه بالنيابة عنه

- آه أهلا وسهلا فرصة سعيدة يا أستاذ شادي

قمة في الاحترام والتقدير لم أكن أتخيل أن ألقاه أبدًا، كنت متخيلا أن المعاملة والمقابلة ستتمتع بشئ من الرتابة و الرسمية لكن اتضح العكس تمامًا، فلم أجد نفسي إلا ويدي ترغب بشدة في مصافحتها

- الشرف ليا يافندم

- تعالى اتفضل نقعد جوا نتكلم شوية

هنا قاطع إبراهيم الحوار قائلا:

- طيب استأذن أنا بقى أروح لشغلي، اتوصي بيه يا لينا ده أخويا، وأنت شد حيلك واتجدعن يا بطل بالتوفيق.

دخلنا سويًا إلى داخل الفندق وكنت أراقب عن كثب كل صغيرة وكبيرة قدر المستطاع في هذا الفندق وما يمثله من عالم كبير لم أختلط به في حياتي، دخلت معها أحد المكاتب على يمين الريسبشن الذي من المفترض أن أعمل فيه إلى جانب شخص أو شخصين على الأكثر وحينما جلسنا

وجهًا لوجه كانت تعابير وجهها وملامحها تعطيني انطباعًا بالاسترخاء وطرد الرهبة والخوف من قلبي، لقد شعرت بقلقي فعلا فقد كنت أتصبب عرقًا و احمر وجهي من شدة الإحراج، كانت أولى خطواتها هي المزاح للتخفيف عني

- عامل إيه انهرده يا روش؟
- الحمد لله في نعمة

وابتسمت، ولم يكن عندي سوى رد الفعل البسيط هذا تجاهها

- احكيلي عن نفسك شوية
- تحبي تعرفي إيه حضرتك بالضبط؟
- مبدئيًا بلاش حضرتك دي وجو الرسميات ده، اسمي لينا وبس، ثانيًا احكي عن أي حاجة عن نفسك، دراستك، مؤهلاتك، كده يعني
- آه، فهمت، اسمي شادي وأنا خريج كلية الألسن جامعة القاهرة اشتغلت فترة في شركة سياحة هنا في وسط البلد بس سبت الشغل
- وياترى سبت الشغل ليه؟
- الشغل مكنش ماشي على مايرام والشركة لجأت إنها تصفي من موظفيها وتقلل العدد وأنا كنت من ضمن تعيسين الحظ إللي ميشيو
- امممممم تمام تمام، طيب بص يا عم شادي، باين عليك حد محترم جدًا ويمكن إبراهيم قالك إني هقعد معاك بدل استاذ حسن المدير

هنا، باين عليك حد فاهم وعندك استعداد للشغل علشان كده ميرضنيش إنك تمشي مكسور الخاطر، مبروك يا زميل بقيت معانا خلاص.

مستغربًا:

- بالبساطة دي؟ طيب وأستاذ حسن

- آه يا سيدي بالبساطة دي، وبعدين لو على الأستاذ حسن فهو مدّيني صلاحية الرفض أو القبول بما يناسب طبيعة العمل، وأنا شايفاك مناسب للوظيفة مقارنة مع الناس إللي جت قبلك

نظرت إليّ للحظات وبعد صمت قالت:

- من النهرده أنا مسؤولة عنك

حتى الآن لم أستوعب صدمة الموقف الذي وضعت فيه كنت في دهشة تامة لم أنطق ولو بحرف واحد

- أنا عارفه إنك مستغرب بس هتتعود مع الوقت، وعلى أي حال إنهرده دورك هيبقى مراقب بس تشوف الدنيا ماشيه إزاي و الموضوع سهل جدًا وبسيط هتتعود عليه، هاا جاهز؟

بحماس قلت:

- آه طبعًا أكيد وإن شاء الله هكون عند حسن ظنك و الأستاذ حسن

- وأنا متأكده من ده

لم أكن أعرف ما يدور في ذهني تجاهها أو حتى سبب ارتياحها لي وقبولي لأن أكون زميلاً لها في المهنة، لكني افترضت إنها تملك من

الخير ما تقدمه للغير، تنظر إلى الكل بلا استثناء بثقة وشموخ والابتسامة قد رسمت طريقها إلى وجهها القمري، رأيت الكثير يحاول التودد إليها بشكل أو بآخر، وكانت كل تلك المحاولات تقابل منها بالرفض وانما بشكل أكثر تهذيبًا، من جانبي فقد كنت مستمعًا لها أكثر مني متكلمًا ،كنت كما التلميذ، لم أتصرف بأية طريقة أخرى، كما لم أتوقع منها أي شئ سوى حسن المعاملة الكريمة في ذاك الوقت. وحينما أتذكر، تبدو تلك الأيام لي التي مضت سريعًا كالحلم مثل قصص الحكايات الخيالية، ولا شئ سوى التمني في أن تعود تلك الأيام مجددًا، لكن كما صدق المثل القائل تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن في النهاية.

علمتني كل شئ كيف أتعامل مع نظام الحجز وطرق الدفع و تقديم المعلومة بشكل بسيط إذا ما أراد سائح مقيم في الفندق الاستفسار والاستعلام عنها، لم تبخل علي بأي شئ فقد علمتني بشكل فوق الممتاز.

وكنت سعيدًا بذلك، ومن شدة السعادة كانت عيني تبحر بحثًا عن إبراهيم حتى وجدته جالسًا مع بقية زملائه من أفراد الأمن يتعامل مع الآلة التي تدخل فيها الحقائب كاشفة عن أي معادن أو شئ مخالف من أي نوع وحين التفت، نظر إلي وقد فهم أنني قد توظفت معهم وأن الأمور قد سارت على مايرام، ورفع إصبع إبهامه متبسمًا، قائلا بذلك بشكل غير مباشر مبروك.

كان الريسبشن يتضمن أربعة أفراد، لينا و طه ولمياء وأنا، وأستطيع

القول إن لينا كانت هي أفضلهم على الإطلاق، ولم ألقى نفس الترحيب من طه ولمياء على الرغم من أنهم أصدقاء لينا، بل تعاملوا معي في أول يوم لي بشكل عادي، بشكل أهلا وسهلا بيك ،وأقنعت نفسي أنني إذا أردت فعلا مصادقتهم فربما نحتاج جميعًا إلى الوقت لتحقيق ذلك.

أمضيت اليوم مع لينا وبقية الزملاء في سلام تام وكان إبراهيم يمر علينا من وقت لآخر يتحدث معنا على هامش وقت العمل، تارة عن أجواء العمل ومشاكله وتارة عن الراتب وتارة أخرى عن مظاهر الحياة.. وأمضينا اليوم هكذا حتى انتهى وقت عمل لينا في تمام الساعة الرابعة عصرًا، منتهيًا بذلك وقتي ولم أكترث ببقية زملائي، كان الفندق كله بالنسبة إلي هو لينا ،سألت نفسي سؤالا لما أنا منجذب إليها بهذه الطريقة أهو حب أم مجرد زمالة عمل؟ إذا كان على الحب فلا أملك لتحقيقه المال الكافي للزواج وحتى إن ادخرت من راتبي الذي اكتشفت فيما بعد انه يبلغ في فندق هيلتون رمسيس خمسة آلاف جنيه فسأحتاج لوقت كبير وربما لسنوات من أجل تكوين نفسي، أهي زمالة فعلا؟ لما لا؟ ربما تتحول الزمالة إلى صداقة و هو ما أفتقده كثيرًا في حياتي الشخصية، أرجعت السبب إلى طيبتها ومعاملتها التي تركت أثرًا طيبًا في نفسي.

جاء وقت الرحيل وبعد أن استأذنت الكل وألقيت السلام أوقفتني لينا منادية:..

- شادي، يا شادي استنى..

كنت على وشك الخروج من باب الفندق وعندما التفت إليها رأيتها تتجه نحوي بخطوات سريعة، وكان المشهد برمته أمام إبراهيم، سألت:

- طريقك إزاي؟
- أنا رايح حدايق الأهرام
- إيه ده معقولة؟ على كده إحنا طلعنا جيران أنا كمان ساكنة هناك، معاك عربية؟
- الحقيقة لا أنا جيت مواصلات
- طيب تعالى أخدك معايا في طريقي أنا معايا عربية

كنت محرجًا للغاية من هذا العرض وشعرت أن إبراهيم بمجرد أن نظرت إليه يحسدني على ما أنا فيه الآن، خرجنا من الفندق و ركبت معها بالفعل منطلقين سويًا إلى منازلنا، لوهلة من الوقت سرحت في التفكير مجددًا، ما الذي يدفع فتاة مثل لينا تتساهل هكذا مع شاب غريب عنها ليس فقط في العمل وإنما كعلاقة شخصية، ترى ما هو السبب؟ وكعادات وتقاليد شرقية لو أن الناس قد لاحظوا مثل هذه المواقف، فماذا يظنون لمجرد رؤيتهم لمثل هذه العلاقة غريبة الأطوار في بدايتها، فلا أحد يتصرف هكذا في مثل هذا الزمن والطيبة أصبحت في خبر كان لتتغير المفاهيم بذلك. بمجرد أن أصبحنا عا ى الطريق الدائري بدأت في فتح

الحوار مجددًا، ولا أعلم فلقد شعرت كطائر سكن قفصه وهناك من يفتح له الباب لكي يحرره، وكان قفصي هو حرجي

إيه رايك في الشغل إنهرده؟

- جميل جدًا، والله مش عارف أقولك إيه ولا أشكرك إزاي

- متشكرنيش، كلنا كنا كده في يوم من الأيام، عادي، المهم مش عايزاك تفكر إنك لوحدك في الشغل، هتلاقيني في ظهرك دايمًا.

مجددًا سرحت في تفكيري، كان وقع تلك الكلمات ليس طبيعيًا على مسامعي، في حياتي كلها لم أر شخصية كشخصيتها، وحاولت التفسير قدر استطاعتي، كيف تحولنا تلك المواقف الإنسانية إلى أشخاص أوفياء، تصبح تلك المواقف كعلامات فارقة في حياتنا، والأشخاص كصورة رسمت نفسها في الذاكرة، كيف يمكن أن أسد هذا الدين حينما يحين الوقت، ربما مرت هي شخصيًا بمواقف صعبة وفارقة في حياتها ولم تجد من يقف إلى جانبها وربما أيضًا إذا صح هذا الاحتمال وقفت بجانبي وكنت سببًا في استرجاعها لذكريات غطتها أتربة الزمن ولم ترغب أن اختبر ما مرت به.

نظرت إلى وجهها بتمعن أثناء قيادتها لسيارتها وتمنيت أن تدوم هذه العلاقة إلى الأبد وألا تكون لحظية فحسب واعتبرتها هبة إلاهية.

خرجت من صمتي قائلا:

- بجد أنا متشكر ليكي

- يا سيدي لا شكر على واجب، قولي أنت بتعمل إيه عامة؟

يعني في وقت الفراغ بتقضيه إزاي؟

- أبدًا، ولا حاجة إما البيت أو الكافية
- إيه ده؟ وفين أصحابك مبتقابلهمش؟
- لا، كل واحد لاهي في حياته وفيه إللي مكفيه ،أغلب الوقت لوحدي
- أهاااا قولتلي، أنت عايش لوحدك على كده؟
- لا، أمي معايا وأنا وهي بس عايشين مع بعض
- طيب والدك فين وأخواتك؟
- والدي توفى من سنتين وللأسف مليش إخوات
- أنا كمان أمي متوفية بقالها ست سنين، الفرق إللي بيني وبينك إني عايشة لوحدي في فيلا دوبليكس طويلة عريضة و والدي عايش حياته بره

كانت نبرتها فيها شئ من الحسرة والحزن خاصة فيما يتعلق بوالدها، يبدو أن هناك مشكلة ولم أشأ التدخل في هذا الأمر فقد تكون عندي انطباع أن مشاعرها تنزف من الداخل وأنها سجينة الوحدة.

- بدخن؟
- الحقيقة لا خالص
- يضايقك لو شربت سجارة؟
- لا أبدًا

كانت تضع علبة سجائرها أمامها عند عداد السرعه لذا تناولتها بسهولة بما لا يؤدي إلى كارثة في الطريق، وأشعلت السيجارة، كانت تدخن وتنفث هواء سيجارتها وكأنها تنفث ضيق صدرها بالكامل، هي تفكر في شئ ما، إما أنها كانت تفكر في مأساتها إن صح التعبير أو أنها تفكر في الخلاص وهو أمر محتمل.

أخيرًا نزلنا من الطريق الدائري متجهين بذلك إلى ميدان الرماية، ولم أشعر بالوقت أبدًا فمن وسط البلد إلى حيث أسكن في حدائق الأهرام استغرق ساعة أو ساعة ونصف على الأكثر في الذهاب أو العودة.

سألتني:

- إنت ساكن في أي بوابة؟

- في البوابة الأولى، بوابة خوفو

- بجد؟ ، مش بقولك إحنا هنطلع جيران في الآخر، فين في البوابة الاولى؟

- في شارع جاردينا

- ههههههههههههههههههههه

سألت مندهشًا عن سبب ضحكتها:

- هو جاردينا بيضحك للدرجة دي؟

- لا أبدًا، أصل أنا هناك

في حدائق الأهرام تنقسم المدينة إلى ستة عشر منطقة تحمل كل منطقة

منها اسم حرف من الأبجدية العربية هي منطقة أ، ب، ج، د، هـ، و،ز، ح، ط، ك، ل،م، ن، س، ص، ع وكل حرف يميز برقم على حسب عدد العمارات والفيلات التي بنيت فيه، يتم الدخول إلى تلك المناطق من خلال أربعة بوابات تتخلل بنسب متساوية السور الخارجي المحيط بالمدينة والمكون بدوره حرمًا خاصًا بالمدينة. تحمل كل منها اسم ملك من ملوك مصر القديمة وهي كالاتي من الأولي إلى الرابعة: بوابة خوفو، بوابة خفرع، بوابة منقرع وبوابة مينا.

كنت أسكن في منطقة البوابة الأولى وتحديدًا في د... في إحدى تفرعات شارع جاردينيا، أما لينا فقد كانت تسكن في آخر شارع جاردينيا، مما يجعل المسافة صغيرة جدًا بيني وبينها، فقط خمس دقائق لكي يصل أحدنا إلى الآخر.

أوصلتني إلى بيتي وشكرتها على تعبها معي وحينما فتحت اللوك يدويا أغلقته هي أتوماتيكيًا، نظرت إليها وقلت:

- في حاجة يا لينا؟

لوهلة شعرت بأن مافعلته كان سخيفًا، وكانت نظراتها تعبران عن الحرج الشديد ، أرجعت خصلة من شعرها خلف أذنها و طلبت مني بكل بساطة:

- شادي، يمكن إنت مستغرب أنا عارفه وحاسه بيك، أنا بس ليا طلب بسيط: أنا وأنت تقريبًا فينا شبه من بعض، هو ممكن نبقى

أصحاب؟ لو تقبلني أكون صديقة ليك. يبقى شرف ليا بجد.

نظرت لها وقلت متلعثمًا من هول المفاجئة:

- هااااا، اه اه، طبعًا ليه لا

وردت علي بابتسامة راضية من رد فعلي وبعيون تكاد تكون غارقتين في الدموع، ولم أفسر وقتها سبب تلك الدموع، وقلت لنفسي إنه لا يمكن أن يدمع المرء بسبب طلب صداقة من شخص آخر.

صعدت على السلم حيث كنت شقتي في الطابق الثاني، فتحت الباب و وجدت أمي جالسة أمام التلفاز وسفرة الغذاء أمامها، أغلقت الباب ومشيت بضعة خطوات ومن ثمة تسمرت في مكاني واقفًا أمام أمي.

- ها يا حبيبي، طمني عملت إيه؟

- الحمد لله، ربنا أكرمني وقبلوني هناك بمرتب كويس

- بجد؟ الحمدلله يابني أحمدك يارب وأشكر فضلك

سكت قليلا وسألتها بعد أن استرجعت أحداث اليوم كله في ذاكرتي:

- ماما

- أيوه يا حبيبي عايز حاجه؟

- هي دعوتك ليا الصبح كانت إيه؟

(2)

ذهبت الى غرفتي بعد أن تناولت طعام الغداء مع والدتي وأغلقت على نفسي باب حجرتي وكأنني أريد ان أنعزل عن الدنيا وما فيها، استلقيت على سريري ومازلت أفكر، حقيقة، ما الذي حدث بالضبط؟ ؟ حسنًا، الموقف ربما يكون نادر الحدوث إذا ما قورن بحدوثه في أمريكا وأوروبا مثلا، هل يجدر بي القلق والتوجس منها؟ لا إن بعض الظن إثم ،لا يجب رمي بنات الناس بالباطل

صدى كلماتها مازال يرن في أذني ومن ضمن كل الحوار الذي دار بيني وبينها

(أنا بس ليّا طلب بسيط، أنا وإنت تقريبًا فينا شبه من بعض، هو ممكن نبقى أصحاب؟ لو تقبلني أكون صديقة ليك، يبقى شرف ليا بجد.)

ماذا كانت تعني حينما قالت إننا نشبه بعضنا البعض؟ ماذا رأت في شخصيتي؟ أفكار تأتي وأفكار تذهب ولم أجد لنفسي إجابة تريح نفسي وعقلي الذي أصبح على حافة الجنون.

أمسكت هاتفي ودخلت على ذلك الموقع الاجتماعي فيسبوك لأرى أحوال البشر، كنت أقرأ تعليقات وأراء الأصدقاء على بعضهم البعض دون أن أضغط على الإعجاب أو أترك تعليقاً، حتى لفت نظري ما كتبه إبراهيم على صفحته كتب:

(الجوهرة الغالية مش مكتوبالي حتى أني أكون قريبًا منها)

قلت لنفسي ،إبراهيم هو المفتاح لكل الألغاز في ذهني، لذا قررت أن أتصل به، وأجبرت نفسي على تحمل طباعه فقط في سبيل راحتي النفسية تجاه الأمر فاتصلت به وبعد عناء أربع محاولات وأكثر من الاتصال به رد علي أخيرًا

- ألو
- ههههههه إيه يا عم المحظوظ إيه الأخبار
- بلاش هزارك الرخم ده يا إبراهيم أنا فيا إللي مكفيني
- ليه؟ هو إنت مش اتوظفت خلاص والدنيا تمام، صباح الفل يعني
- مش على كده يا إبراهيم
- ومال إيه؟
- بصراحة لينا دي شخصية غريبة جدًا مش فاهمها بجد، إنت صدرتني ليها الصبح ومكلمتنيش عنها ولا عن نظامها ولا أي حاجة
- لينا؟ ؟ يابني دي مزة سكرة، هي بس ممكن تكون مغرورة شوية ومش بتعمل علاقات كتير بس أشطه، بس مقولتليش، هو إيه إللي حصل بينك وبينها يخليك تقول كده؟
- بصراحة مش عارف أنا لقيت نفسي في جو رسمي وبعدين قلب لصحوبية ، طول السكة واحنا مروحين مع بعض قعدت تتكلم معايا عن

حياتي و كده وبعدين طلبت مني إننا نكون اصحاب

- و زعلان إنها طلبت منك تكونوا أصحاب؟ تصدق إنك فقر أصلا؟

- هي صحيح عايشه لوحدها يا إبراهيم؟

- آه ده حقيقي عايشه لوحدها و والدتها متوفية و أبوها داير على حل شعره ولا معبر بنته أصلا، بص علشان أوفر عليك الوقت، هي بنت قمة في الاحترام، عمرها ما أذت حد ولا اتكلمت على حد بالباطل، هي بس ممكن تكون زي ما قولتلك مش أي حد يعمل معاها علاقه ،حتى احنا زمايلها في الشغل تلاقي اتنين بالكتير قوي هما أصحابها والباقي زمالة عادية، لكن كون إنها اختارتك تكونوا أصحاب ده نادرًا قوي لما تعمله مع حد، خد الأمور ببساطة يا شادي ومد إيدك للدنيا، إنت طول عمرك قافل على نفسك متعقدش الأمور، لينا مدت إديها ليك حط ايدك في إيدها وكونوا أصحاب إيه المشكلة.

- إمّا أشوف يا إبراهيم ربنا يسهل

- أوك ،هشوفك بكره تصبح على خير

انتهت المكالمة بهذه الإجابات التي بالكاد أشعرتني بالراحة، وإن كانت علاقاتها تسري بهذه الطريقة مع الكل في العمل فسأراقب الأجواء عن كثب.

وبالنسبة لما قاله لي إبراهيم في آخر المكالمة فقد كان محقًا، بعد وفاة

والدي عزلت نفسي عن كل ما هو متعلق بالروابط البشرية، أمضيت حياتي وحيدًا بعيدًا عن كل الأصدقاء بل وقطعت علاقتي معهم أيضًا، ولم يكن بالأمر السهل علي أن أعيش هكذا، كرست نفسي للعمل و تحملت المسؤلية، كنت مضطرًا إلى مواجهة كل الالتزامات براتب ألفين جنيه فقط، لم استمتع كبقية الشباب مثل عمري وقتها بحياة صاخبة، سريعة الإيقاع. لم أخرج إلى الدنيا فعلا بل أدمنت على العمل حتى وضعني رئيسي في شركة السياحه التي كنت أعمل فيها في قائمة الموظف المثالي، مقتصدًا، شغوفا بالعمل، ملتزما بقواعده، اؤدي عملي كل يوم دون أن يصدر مني أي تذمر أو شكوى من ضغوط العمل. كنت من المنزل إلى المكتب ومن المكتب إلى المنزل، حتى اعتدت على الأمر مع مرور الوقت لتصبح حياتي روتينية إلى أقصى الحدود.

حاول مرة أحد الزملاء في شركة السياحة أن يدعوني إلى السينما في أحد المراكز التجارية الكبيرة ولكني رفضت ولم أسمح لنفسي بأي شكل من أشكال الترفيه.

أما فيما يخص لينا فلم أكن قد توصلت إلى قرار نهائي يفيد بأنني قد قبلت صداقتها، في الواقع كنت قد اعتزلت فكرة أن يكون لي صديقات مثل أغلب الشباب. قد يتسائل البعض عن السبب، الإجابة ببساطة هو أنني افتقر إلى الشجاعة.

عدت مجددًا إلى صفحتي في الفيس بوك وتفاجئت أن أحدهم قد قام

بإرسال طلب صداقة إليّ، وهو ما لم يحدث منذ زمن بعيد. أثارني الفضول، تلك الإشارة الحمراء، لوهلة اعتقدت بأنها انذارًا لعدم قبول هذا الشخص أيا كان، ولوهلة أخرى شعرت بالرغبة في الخروج من هذا السجن الذي أعيش فيه. فتحت طلب الصداقة؛ وكانت لينا شريف.

ترى كيف استطاعت أن تعثر عليّ وسط ملايين الحسابات الشخصية على الفيس بوك؟

قبلت إضافتها ومن خلال نظرتي العامة لصفحتها الشخصية وجدت أنها ليست من نوع الفتيات المغرورات اللاتي إذا ما كتبت إحداهن شيئا على صفحتها تجد أكثر من ألف إعجاب واكثر من خمسمائة تعليق ولا ترد هي على أي تعليق وكأن الأمر مسألة إرضاء للغرور.

لا تستطيع القول أنها من مدمني الفيس بوك ولكن لها وجود بشكل أو بأخر، فحتى في العالم الافتراضي كانت تسعى إلى أن يكون لها مجتمعها الخاص. فمثلا إذا ضغط شخص ما على الإعجاب على أي صورة شخصية لها كانت تشكره باسمه وإن كتب تعليق كانت تستجيب أيضا وكانت تلقي كلمات كفيلة بأن ترسم البسمة على وجهك، كانت شخصية متواضعة للغاية بعكس ما كنت أراه من أغلب الفتيات المثيرات للسخرية.

أذكر إنني كنت أعرف فتاة منذ زمن على الفيس بوك وكانت من النوع المتحرر، ذلك النوع الذي يمقت العادات والتقاليد، أتذكر أنها كانت تدعي نفسها إلهام الجميلة، كانت تملك موهبة اللعب بالكائن الذكر

بشكل ممتاز، من ضمن مرات متابعتي لها نشرت صورة لها وهي ترتدي قميصًا مفتوح الصدر بحيث يظهر جزء بسيط من مفاتنها وكانت في هذه الصورة تبتسم مع غمزة عينها اليمنى، تلك الصورة وقتها حصدت أكثر من خمسة الأف إعجاب والعديد من التعليقات منها ما هو معجب بها ومنها ما يفيد بإتق الله في نفسك.

كانت تسأل وتطلب وتلقى الرد لكن دون أن تستجيب أو يصدر منها أي رد فعل، وكشاب لم أكن أحترم هذا النوع من الفتيات أبدًا خاصة من لا ترد على سائل أو مجيب، وكنت اتمنى أن تتعلم أغلب فتيات مصر من فتيات الغرب مثلا، ولكن في النهاية هي أمنية يصعب تحقيقها فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

حتى أتت لينا وغيرت تلك الصورة السلبية في ذهني، دخلت إلى ألبوم صورها على الفيس بوك ولا وجود لصورة واحدة مع أسرتها، الصورة الوحيدة الموجودة هي مع والدتها التي كانت تشبهها إلى حد كبير ولا أثر لوالدها. أما بقية الصور فإما وهي في العمل أو في البيت أو حفلة من الحفلات أو مع بعض الأصدقاء ولفت نظري أنها لم تكن من النوع المتكلف في الملبس برغم أن جمالها الأخاذ يستحق أن ترتدي أغلى وأرقى الملابس وتظهر بها، محتشمة حقًا، على الأقل هذا ما وضح لي من خلال الصور.

وقبل أن أخرج من صفحتي الخاصة لأغلق بعدها هاتفي فوجئت برسالة خاصة من لينا قالت فيها:

(بجد ميرسي قوي على قبول صداقتي ويارب نفضل أصحاب على طول)

لأرد عليها أنا بدوري: *(لا شكر على واجب)*

أغلقت هاتفي وقد أسندت رأسي على الوسادة فقد شعرت بثقل رهيب في رأسي أتعبني من كثرة التفكير، وبعد فترة طويلة بعض الشيء من التحديق في سقف غرفتي استسلمت للنوم، ولم يكن نومًا هادئًا على الإطلاق ،نسيت في هذه الليلة شكل الأحلام السعيدة كيف تكون.

رأيت نفسي في مكان مجهول مظلم بعض الشئ، لم يكن هناك أثر لأي كائن سواي، أمشي في وسط المجهول، لم أكن خائفًا بقدر ما كنت أشعر بالقلق.

وبطريقة ما اكتشفت أنني كنت أمشي في وسط المقابر، لأجد في نهاية طريقي سرير طبي وضع في حفرة ولكن ليس بشكل كامل، فقد كان السرير معلقًا بين الهواء و الأرض، وكان نائمًا على هذا السرير شخص ما لم أميز ملامحه سوى أن هذا الشخص امرأة عارية ، مجاطة بأشخاص قد التفوا حولها وجوههم اتشحت بالسوّاد حال ملابسهم، كانوا يأكلون من لحمها في نهم شديد، فزعت من المنظر و ركضت مسرعًا نحوهم صارخا لكي يتوقفوا لكن دون جدوى، قاتلتهم بيدي وطرحت عدة أشخاص منهم على الأرض وطرحني آخرون أرضًا، كنت عندما أنهض أرى من طرحتهم أرضًا ينقسمون إلى اثنين وينهضون أيضًا.

انشغلت في قتالهم حتى تكاثروا و قيدوني لأرى أن عدد من يأكلون لحم تلك الفتاة قد زاد عددًا، والغريب في الأمر أنها كانت على قيد الحياة مستغرقة في النوم ولا تشعر بألم غرس الأسنان في لحمها العاري ولا حتى بالدماء التي غطت جسدها بالكامل، حتى مال رأسها نحوي لتتكشف ملامحها أخيرًا، كانت لينا

ووجدت نفسي أصرخ بأعلى صوتي مناديًا باسمها حتى تستيقظ ولكن دون جدوى.

كنت أنا من استيقظت من هذا الكابوس ولساني يسمي باسم الله، حتى في ليلة من المفترض أن تكون هادئة لم تتركني وشأني، و لم تكن عندي أي نية في أن أحكي ما رأيته في حلمي المرعب لأي أحد، ولا حتى لأمي، مضى وقت طويل لم أرى فيه الكوابيس، شئ ما بداخلي يدفعني إلى عدم الاطمئنان.

لم أستطع النوم بعد ذلك، حتى وصلت الساعة إلى الخامسة صباحًا وهو الوقت المحدد يوميًا لكي استيقظ وأستعد بعدها للذهاب إلى عملي، كانت أمي مازالت نائمة وبالتالي لم أتناول من فطوري المعتاد سوى كوب من الشاي الساخن، كنت قد ارتديت بدلتي بالفعل لكنني جلست على الأريكة المفضلة لأمي في الصالون لمدة نصف ساعة محاولاً أن أصفّي ذهني وأنسى تلك المشاهد المرعبة التي عشتها في هذا الكابوس اللعين، حتى سمعت صوت عجلات سيارة تمر بالقرب من المبنى الذي أسكن فيه، كانت

شقتي تطل على الشارع وبالتالي فإنه من السهل عليك أن تسمع بوضوح كل ما يدور حولك من أحاديث و موسيقى التوكتوك المزعجة بل وحتى أصوات محركات السيارات، خاصة وإن كنت تسكن في الطابق الأول أو الثاني.

فتحت باب البلاكونة لأرى سيارة لينا الفارهة بانتظاري، كانت سيارة من نوع كيا سيراتو الرياضية لونها أسود، كانت كل دقيقة تطلق كلاكس سيارتها مرة أو مرتين، فقد نسيت أن تأخذ رقم هاتفي ومع ذلك، بدا واضحًا أنها حفظت مكان إقامتي بكل سهولة.

خرجت من باب العمارة ووقفت أمام سيارتها لتجد أنني أنظر إليها وعلامات الاستغراب قد شقت طريقها إلى وجهي، لتقول من وراء نافذتها المفتوحة:

- إيه يا عم كل ده تأخير؟ ساعة على ماتنزل؟ اركب

ركبت بجانبها لننطلق معًا مجددًا على الطريق، لأعيش معها هذه الرحلة الغريبة، وبعد أن خرجنا من منطقة حدائق الأهرام بدأت لينا في التخلي عن عباراتها الرشيقة في الحديث لتكون بذلك اكثر راحة معي بعيدًا عن التكلف لتقول بشكل مندفع:

- إيه رأيك فيّا بشكل عام؟

بشئ من الإحراج بدت كل الإجابات متهربة لأتلعثم بدوري وقاطعتني:

- بص أنا هقولك حاجة علشان متاخدش عني فكرة غلط، أنا بنت

عادية جدًا ومش معنى إني عايشة لوحدي زي ما قولتلك إمبارح معناه إني ماشية في سكة شمال لا سمح الله بالعكس، كل ما هنالك أني حسيت إنك ممكن تكون قريبًا مني وأني ممكن أن أثق فيك.

سألتها:

- وليه أنا بالذات؟ طيب ماعندك لمياء وفي الأول وفي الآخر هي بنت زيك

- لمياء صحبتي آه بس مش لدرجة الثقة، لمياء حد بغيّر معاه جو وأحيانا بتيجيلي وبجيلها البيت لكن موصلتش معاها أبدًا لدرجة الصحوبيه بمعناها الحقيقي

لم أعلّق على إجابتها وسكت لتسألني هي بنبرة هادئة:

- شادي، إنت حابب نكون أصحاب بجد ولا لأ؟

تذكرت مكالمتي مع إبراهيم إمس وقررت أن أعطي هذه العلاقة فرصة أخذًا بنصيحته لأجيبها

- أكيد، أنا هكون سعيد جدًا بده

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهها وقالت:

- بجد إنت مش عارف أسعدتني قد إيه، وتأكد إني كصديقة ليك هكون سرك وضهرك ومش هتندم أبدًا، وبعدين ياسيدي ده إحنا جيران تعالى زورني وأزورك

- أكيد طبعًا ده شئ يسعدني

لم يكن لدي أدنى فكرة عما قولته، ولم أكن متأكدًا من مدى استجابتي لهذه الصداقة التي تجمعنا سويًا، كانت تشعر هي بالاهتمام والإصرار في حين كنت أنا أشعر بالفضول لمعرفة حقيقة هذا الإصرار.

وصلنا أخيرًا إلى هيلتون رمسيس استعدادًا ليوم عمل طويل ورغم ذلك لم تكف لينا عن الحديث معي وهو ما لفت نظر أغلب الموظفين، لم تلق لهم بال ولم تعرهم أي اهتمام، شعرنا سويًا أن العيون تنطق بعلامات الاستفهام ورغم ذلك فقد واجهت الجميع بابتسامتها المعتادة، ابتسامة تشعر وكأنها تواجه العالم الخارجي في تحدٍ واضح وصريح ثم تشعر وكأن الابتسامة تأتي لتتركز عليك لتشعرك بالاطمنان وليس بالإحراج، كانت تراك كما ترى نفسك تمامًا كالمرآة،

عند هذه اللحظة بالظبط أدركت أنها في حاجة إلى شخص ما برغم أنها تقضي أغلب الأوقاتِ مع زملائها في العمل.

شعرت بشئ من الفتور من قِبل طه و لمياء بمجرد وقوفي بجانبهم خلف الريسبشن و تشغيلي لجاهز الكومبيوتر لأرى الحجوزات و أساعد النزلاء الجدد والحاليين إن تطلب الأمر.

أحيانًا تشعر بالطاقة السلبية تحيط بك من مشاعر الآخرين حولك، لترغب في الصراخ قائلا: اتركوني وشأني.

قرأت ذات مرة أن السلبية ترتدي أحيانًا قناعًا تنكريًا يدعى "الواقع".. من السهل أن تبرر بأنك "شخص واقعي فحسب" عندما لا

تجرؤ على العمل لتحقيق حلم ما أو الإيمان به

قد تفترض أن الأشخاص الإيجابيين ليسوا واقعيين، أنهم سذج بسطاء، أنهم ينكرون الواقع ويدفنون رؤوسهم في الرمل، أنهم يظهرون الابتسامات المزيفة عندما يواجهون الصعوبات وغير ذلك لكن، هل هم حقًا مغفلون سعداء أم أن هناك شيئًا وراء إيجابيتهم؟

منذ متى صارت "الواقعية" تعني حتمية أن الأمور ستصبح خاطئةً وسيئةً وأن عليك القبول بأن ذلك هو الحقيقة؟ إن ذلك لا يعني بأن "كونك واقعيًّا" هو أن تكون سلبيًا تلقائيًا

عندما ترى العالم من وجهة نظر واقعية فلن تقدر إلا أن تكون سلبيًا إذا كانت نسختك من الواقع سلبية.

لذا لم أملك سوى أن أتقبل ذلك الواقع السلبي مبدئيًا على أن أسعى لتغييره مع مرور الوقت، وحاولت بطرق عدة أن أوصّل لهما أنني لا أمثل أي خطر على المستوى المهني كما أنهما يمثلان الأقدمية في العمل لذا لا داعي لتلك المشاعر السلبية.

مضى وقت طويل وأنا أعمل، بمفردي مع زملائي الغامضين الجدد، لينا لم تكن معي ولم أدري إلى أين ذهبت منذ أن دخلنا إلى الفندق معًا في الصباح الباكر، كان انشغالي مع النزلاء قد عزلني كليًا عن لينا بحيث لم أدرك وجودها من اختفائها، و في لحظة وجدت الهاتف بجانبي يصدر رناته لكي يستجيب له أحد، وبما أنني كنت بجانبه فكنت أنا المجيب.

- ألو

- تعال المكتب عندي يا شادي فورًا

- حاضر يا أستاذ حسن

كأي موظف حين يسمع نداء رئيسه في العمل لم يكن مني سوى أن أهرول له بخطوات سريعة حيث كان مكتبه بجانب الريسبشن، وكنت أشعر بنظرات طه ولمياء وكأنها تكاد تحرقني من شدة الغيظ والحقد، على الأقل لم أفهم تلك المشاعر إلا فيما بعد.

و بقدر ما كان يشغل بالي عن ما يريده المدير مني بعد أن تم قبولي في العمل بقدر ما كنت أشعر بانقباض قلبي حينما أفكر كثيرًا بمستقبلي في هذا الفندق.

دخلت الى مكتب الأستاذ حسن ولينا كانت حاضرة معه، كنت كما يقال بلغة أهالينا البسطاء (بضرب أخماس في أسداس) وبالنظر إلى ملامح وجه السيد المدير استنتجت أنه لا توجد أي مشكلة وأن الأمور على ما يرام.

وبحسب ما أذكره عن الأستاذ حسن، كان دومًا في كامل هندامه، يعتني كثيرًا بنفسه ويمتلك ذوقًا رفيعًا في اختيار ملابسه، في ذلك الوقت كانت تبدو بدلته السوداء المصممة بدقة عالية و قميصه ورابطة عنقه مرتفعة الثمن وعلى الأرجح تأتي هذه الحلة من إحدى الماركات العالمية المشهورة، يرتدي دائمًا ساعة أنيقة لا تفارق مرفقه الأيسر وخاتم زواج!

يفارق إصبعه الثالث من يده اليسرى.

كان في الخمسين من عمره، و ملامح وجهه توحي بالذكاء والأخلاق الحسنة، ويتميز بقوة الشخصية والإرادة، وبشكل عام هو ذلك الشخص الذي إذا ملكت مفاتيح شخصيته فسيسهل عليك التعامل معه.

- تعالى يا شادي اتفضل اقعد

جلست وأنا أحدق في لينا لعلي أفهم سبب هذا الاستدعاء الأول لي في الوظيفة لكن كعادتها لم تعطني منها سوى ابتسامتها.

- الأستاذة لينا بتشكر فيك جدًا وبصراحة كده كلامها عندي ثقة، قولي إنت إيه رأيك في الشغل؟

مجيبًا عليه:

- الشغل في قمة المتعة يا فندم وربنا يقدرني وأكون عند حسن ظنكم دايمًا.

تدخلت لينا قبل أن يعلق الأستاذ حسن بكلمة وقالت:

- الحقيقة ياريس شادي ماخدش في إيدي وقت، ما شاء الله إمبارح كان اليوم الأول ليه معانا وبرغم كده حفظ كل حاجة في شغلانتنا على طول وأنا شايفه إنه يجي منه، وحضرتك عارف نظرتي متخيبش أبدًا.

يعلّق الأستاذ حسن بنبرة إعجاب:

- ممتاز ممتاز، ده إنت طلعت هايل ياعم أهو

- ربنا يخليك يا فندم أنا لسه معملتش حاجة

قاطعني قائلا:

- أهم حاجة عندي التعامل مع النزلاء في الفندق إنت خلاص بقيت معانا وده يخليك وجهة للفندق الي سائح سواء كان أجنبي أو عربي أول ما يدخل يشوفك، فخليك مبتسم وهادي واعمل إللي عليك دايمًا

- اطمئن يا فندم إن شاء الله هكون عند حسن ظنك.

مبتسمًا وبعينين تحدقان في بشكل مباشر قال:

- وأنا متأكد من ده، تقدر تروح تشوف شغلك ولو احتجت لأي حاجة مكتبي مفتوح ولينا دايمًا بتنوب عني يعني أنا وهي واحد.

- أكيد، شكرًا يافندم عن إذنكم.

خرجت من المكتب ومعنوياتي مرتفعة وبقدر سعادتي بنتيجة هذا الاجتماع الصغير بقدر ما كان الفضول يقتلني لمعرفة ما دار بين لينا والأستاذ حسن عني، وبرغم ذلك لم يمنعني هذا التساؤل عن مقدار سعادتي بما حدث.

عدت إلى مكاني بجانب طه ولمياء ولا زالا يرمقانني بتلك النظرات و بما أن معنوياتي قد ارتفعت وجدت نفسي قادرًا على العمل بقوة أكثر من السابق، فعلا صدق من قال كلمة ترفعك إلى سابع سما وكلمة تخسف بيك الأرض.

أمضيت ساعتين على هذا الحال أعمل بلا توقف، حتى جاء أحد

النزلاء وتوجه إلى لمياء مباشرة، كان كويتي الجنسية، لا أتذكر اسمه تحديدًا لكن عصبيته وطريقته في التعامل لم تُمحى من ذاكرتي.

وبلهجته قال بصوت عالي:

- إنتي هاااي، ساعتين وأنا أنتظر سيارة بسواج.. أنا من متى مكلمج من غرفتي وخبرتك بسالفة السيارة؟

كانت تلك اللهجة وهذه الطريقة في التحدث جعلت لمياء في موقف حرج، فحتى عندما أرادت أن تجيب على الرجل تلعثمت لتصبح الكلمات لا تجد لها سبيلا.

- يا فندم مافيش داعي حضرتك للصوت العالي انا......

قاطعها:

- إنتي إتشب ولا كلمة، يلا عاد يلا روحي ناديلي المدير يلا

تصرف طه وكأنه من بنها كما نقول في لهجتنا العامية واتخذ دور المشاهد متظاهرًا أنه يؤدي عمله، وبما أن الصوت كان عاليًا جدًا وبدأ في الاستحواذ على انتباه الجميع، ما كان مني سوى أن أتدخل لتهدئة الموقف، خرجت من موقعي في الريسبشن و وقفت بجانبه محاولا تهدئته.

- أنا أقدر أساعدك يافندم، إهدى بعد إذنك و أمرني أنا تحت أمرك

- ياخي يفهم إنت ولا ما تفهم؟ أنا أبغي سيارة بسواج بيا الحين،

تكفون مستعجيل وراي ميماد الله يهاديكم خلصوني.

حاضر يافندم، أنـا معـاك وتحـت أمـرك وأنـا إللـي هركبك السيارة وبنفسي

بدأت نبرة الرجل وانفعالاته في الهدوء شيئًا فشيئًا بمجرد أن قمت بعمل اتصال لأحد الأشخاص ويدعى عادل وهو المفترض أنه المسؤول عن حركة السيارات في الفندق وأوصيته بسرعة تواجد سيارة أمام الفندق، وفعلا، لم تمض ربع ساعة حتى جاءت السيارة من نوع تويوتا كورولا سوداء موديل السنه ولا أدري بالضبط ما هو الخلل الذي حدث وما سبب التأخير على الرجل ،أوفيت بوعدي مع ذلك النزيل الكويتي وفتحت له باب السيارة بنفسي ولم أدخل إلى الفندق حتى خرج من البوابة الخارجية وانطلق في وجهته المجهولة.

حمدت الله أن الموقف لم يستدع حضور الأستاذ حسن و حمدت الله أيضًا أن ما حدث قد انتهى وذهب أدراج الرياح، وقلت في نفسي إن ماحدث وبتدخلي هذا ربما يكون علامة لحسن النية تجاه طه ولمياء فأنا زميل جديد لهم ومن واجب الزملاء أن يقفوا في مواقف بعضهم البعض مهما بلغت درجة الصعوبة، هكذا أقنعت نفسي فعلا، وللأسف الشديد.

انتهى عملي لهذا اليوم وهممت بالخروج من الفندق بعد أن ألقيت السلام على زملائي وعلى إبراهيم، وفيما كنت أنتظر خارجًا عند البوابة الخارجية للفندق، وقع على إسامعي صوت خطوات سريعة تحديدًا صوت

حذاء نسائي ذي كعب عالي، اعتقدت أنها لينا لكن حينما التفت ورائي، فوجئت بلمياء تصرخ بي بأعلى صوت:

- إنت مين سمحلك تعمل كده؟

مستغربًا:

- أنا؟

- إنت مفكر نفسك إيه بالضبط؟

هنا وجدت نفسي كما كانت هي أمام النزيل الكويتي هربت الكلمات مني ولم تجد لها سبيلا لإنقاذي، وقفت مشدوهًا أمامها، كانت كالبركان الذي وجد الفرصة المناسبة للانفجار لأكون أنا أول ضحايا الاحتراق بلهيبه

محاولا التحدث معها:

- طب أنا ممكن أفهم بس إيه الموضوع؟

قاطعتني بحدة وقد عقدت ذراعيها على صدرها:

- هو إنت مفكر نفسك إيه؟ ولا تحب أسيب شغلي علشان تشتغل إنت؟ بقولك إيه، إن كنت مفكر إن بالحركات القرعة دي هتعجب المدير وتبرشط علشان توصل للي إنت عايزه تبقى غلطان، وأوعى تفكر إن كون لينا معاك وبقيتو أصحاب ومش عارفة إيه تبقى أمان، لا ياشاطر فوق في ناس أقدم منك و أكفئ منك بكتير، وبحذرك إياك ثم إياك تتجاوز حدودك معايا وإلا وديني ما هتشوف مني كويس.

في هذه اللحظة خرج إبراهيم مسرعًا تجاهنا قائلا:

- إيه إيه يا جماعه في إيه؟ مالكم؟ صوتكم جايب لآخر الشارع و الدنيا جوى سامعاكم في إيه؟

بحدة ردت عليه:

- مافيش يا إبراهيم، أصل بعيد عنك كده في ناس من وقت للتاني عايزة تتربى.

بادلتني بعدها بنظرة حادة جابت من فوقي لتحتي ورحلت، يتتبعها إبراهيم بنظراته حتى اختفت تمامًا داخل الفندق وسألني:

- هو في إيه؟ إيه إللي حصل بينك وبينها؟ مالها عاملة كده زي التور الهايج

سكت للحظة وأشحت بنظري إلى الشارع و أجبته:

- لو لينا خرجت قولها شادي روح، أنا هركب أي مواصلة وخلاص، سلام

غريبة هي أمر المشاعر كيف تقاتلنا حتى نقتل وإن قتلناها صرنا أمواتًا، لتجف بنا ويبقى الظلال طريقًا دون الهدى، حتى وإن ضاعت بنا تلك المشاعر نجد أنفسنا ننساق وراءها كما الأنعام، فنجهل خطانا ونتخذ من العبث مسكنًا.

جعلتني تلك الكلمات أكره سجن هذا العالم وكرهت أيضًا أن أكون بين سكانه؛ فلا الكلمات أهون، ولا النظرات أرحم، واكتفيت بعدها أن في

هذا العالم قسمين الأول هو أنت تتجرد من الضمير وتدوس على الخلق حتى تعلو والآخر ان يداس عليك وتعامل كما العبيد، وهنا لا مكان للعمل الطيب ولا جزاء للإحسان سوى الكره.

(3)

- إيه يا بطل؟ حاسس بإيه دلوقتي؟

سأل الدكتور مصطفى مبتسمًا وقد وضع يده على كتف شادي و أردف بهدوء

- شايف إنك بطلت كتابة، إيه إللي جواك ومش قادر تظهره؟

ارتبك شادي قليلا وحاول أن يجمع شتات نفسه المكسورة وقال:

- مش عارف يا دكتور بس حاسس بحاجات كتيرة قوي متلخبطة جوايا

- حاجات زي إيه؟

- إني رجعت للماضي من تاني وإني حاسس بعجز ومش قادر أغيره للأسف

- إحنا لا نقدر نغير الماضي ولا حتى نحدد المستقبل شكله إزاي، ده كله في يد الله عز وجل، لكن كل إللي نقدر نعمله إننا نغير تأثير الماضي فينا مهما كان سيئًا وحتى لو كان مليان ألم وتعب، أيًا كان الماضي ده، المهم منكنش أسرى الماضي ده، يا كده يإما نموت بحسرة شئ مش في إدينا أصلا.

صمت الدكتور مصطفى وجلس قبالة شادي واستكمل قائلا

- أنا جتلي فكرة أفضل

- ...؟؟

- أنا عارف إنك مستغرب، باين في عنيك، الماضي إللي إنت كنت عايش فيه ده أنا هعيشه معاك

رد شادي مستنكرًا:

- إزاي يعني؟

- مبدئيًا ممكن تديني الورق إللي كتبته؟

بادله شادي بنظرات الاستغراب ولم يملك سوى أن يستجيب لمعالجه النفسي ومن جانب الدكتور مصطفى فلم يعط لمريضه الفرصة ليعلق حتى بكلمة ليقول هو:

- باختصار شديد انا هقرأ إللي كتبته وبعد كده أنا إللي هقوم بدور الكتابة عنك، كل إللي عليك إنك تتكلم وتطلع إللي جواك

طاوعه شادي لا إراديًا وأعطاه الأوراق بالفعل وشاهده وهو يقرأ بتمعن شديد وبدقة متناهية وكأنه يحاول أن يتلبس شخصية شادي نفسه ليشعر بدوره بمشاعره الشخصية وما مر به.

وفيما كان الدكتور مصطفى منشغلا بقراءة ما كتبه مريضه وجد شادي أن الفرصة تبدو مناسبة للم شتات أفكاره، نصف ساعة فقط كانت كافية للدكتور مصطفى، كانت كافية لاكتشاف أول خيوط المشكلة والمعاناة، وبعد أن انتهى من القراءة قال:

- على ما يبدو لي أن لينا كانت متعلقة بيك أكتر ما كنت إنت

متملق بينها لدرجة أنها كانت قريبة جدًا

سكت شادي لبرهة من الوقت وأجاب:

- يعني مش بالضبط، مش زي ما أنت متخيل.

نهض الدكتور مصطفى من مكانه ليأتي بحزمة كبيرة من الأوراق البيضاء المسطرة وقلم ليجلس قبالة شادي مجددًا

- تمام، أنا مش عايزاك تشغل بالك بأي حاجة تانيه خليك معايا أنا وبس، ماورناش حاجة، إن شاء الله نقعد لتاني يوم الفجر مافيش مشكلة.. أنا معاك لحظة بلحظة، قولي، إيه إللي حصل بعد حكاية لمياء معاك.

عدت إلى منزلي ولم أنطق بحرف واحد مع أمي، كان مزاجي معكرًا للغاية، وكانت حينما تسألني أمي عن حالي لا ينطق لساني سوى

- الحمد لله يا ماما كله تمام

كان اللسان ينطق بعكس ما في القلب و وجهي كما المرآة كشف لأمي أن هناك شيئًا ما غير طبيعي لكنها لم ترغب في أن تضايقني بأسلتها خاصة وأن علامات الإرهاق كانت واضحة علي، دخلت إلى غرفتي كالعادة، ملاذي الوحيد في هذه الدنيا، وإن كانت الجدران لها القدرة على النطق فستكون خير شاهد على أحزاني وأفراحي، كانت الجدران أفضل صديق لي؛ ولم يكن في غرفتي تفاصيل كثيرة مجرد مكتب متواضع للغاية وكرسي وضع عليه لابتوب وأباجورة صغيرة ذات إضاءة خافتة مريحة

للعين وسرير كان قد انتصف الغرفة وشباك كنت أفتحه من وقت لآخر إذا ما احتجت لتغيير هواء الغرفة أو إذا ما قررت الجدران أن تطبق على روحي فأختنق، أما خزانة ملابسي فحتى تلك كانت متواضعة أيضًا، ولكن ليست تلك التفاصيل بالأمر الهام فقد كنت متواضعًا حتى في حياتي الشخصية ولم أكن مهتمًا بمظاهر الترف في الحياة.

ألقيت بنفسي على سريري لعلي أنسى ما حدث من ذلك النزاع وذاك اليوم الطويل كان هناك شئ واحد فقط يقاوم مغالبة النوم لي

صوت رنات هاتفي كان غير منقطع النظير، عدة اتصالات مستمرة كانت كلها من لينا، عشر مرات بالتمام والكمال اختتمتها برسالة نصية قالت فيها:

- في إيه مالك؟ رد عليا بليز

أيقنت حينها أنها قد علمت بما حدث ودار بيني وبين لمياء ولم أرد عليها، ليس لأني اتخذت ضد لينا موقفًا شخصيًا من نوع ما، بل لأنني لم أجد الكلمات المناسبة لمواجهتها بها، ولكي أهرب من هذا الموقف جعلت هاتفي صامتًا بحيث لا اسمعه مطلقًا وانعزل عن العالم ومضى وقت على هذا الحال حتى حدث ما لا كنت أتوقعه، دخلت أمي الغرفة لتجدني جثة هامدة على فراشي، كنت قد أغمضت عيني على أمل النعاس ولكن دون جدوى، جلست أمي على الفراش وقالت:

- شادي، شادي إنت نايم يا حبيبي؟ قوم إصحى

فتحت عيني ونظرت إليها قائلا:

- لا يا حبيبتي مش نايم أنا بس قلت أغمض عنيا شويه يمكن أنام

- طب قوم فوق كده وألبس هدومك علشان في ضيفة مستنياك بره في الصالون

انتفضت من سريري وقلت:

- ضيفة؟ ؟ مين الضيفة دي وجت إمته؟

- لينا زميلتك في الشغل

شئ غريب، لم أستغرق في النوم أبدًا وكنت واعيًا كيف لم أسمع صوت جرس شقتي، ربما قد غافلني النوم للحظات، لقد أمضت ساعات محاولة الاتصال بي دون أن أبدي أنا أي استجابه والآن لم تجد لها سبيلا سوى أن تأتي إلى بيتي وتزورني للمرة الأولى.

خرجت أمي إليها لتقوم معها بواجب الضيافة وبقيت أنا أجد لنفسي إجابات لأسئلة يمكن أن تكون متوقعة، غيرت ملابسي، أخذت نفسًا عميقًا، ثم خرجت من غرفتي متجهًا نحو الصالون وفيما كنت متجهًا نحوها لأصافحها نظرت إلي نظرة لوم وقالت:

- ينفع كده يعني؟

احمر وجهي وقلت لها:

- أهلا وسهلا نورتيني، اتفضلي

جاءت أمي حاملة صينية بها فنجان قهوة وكوب ماء ووضعتها على طاولة أمام لينا وبما أنها سيدة تبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا استأذنت لكي تذهب وترتاح قليلا فلم تكن من النوع الذي يسهر كثيرًا، وبذلك انفردت بي

- أنت إيه إللي عملته ده إنهرده؟

- أنا معملتش حاجة ليها أنا لقيت النزيل الكويتي عنده مشكلة وتدخلت لحلها بس هي..

قاطعتني:

- أنا مش بتكلم عن لمياء، أنا عرفت الموضوع كله من إبراهيم لما خرجت وملقتكش، عارفة إن لمياء كانت دبش ومدب في كلامها معاك ويمكن تكون جرحتك كمان بس ده مش مبرر إنك تسبني وتمشي ومترد على اتصالاتي، هو إحنا مش أصحاب خلاص؟ مضايق تعالى إحكيلي لكن متسبنيش أرجع لوحدي واحنا بقينا بنروح ونيجي مع بعض الشغل.. وإن كان على لمياء فليك عليا إني أمسحلك بيها الأرض ولا تضايق نفسك

- لا مافيش داعي، كده كده هي و طه منفسنين جدًا أي تدخل منك هيزيد الطين بله والموضوع مش ناقص شعلله أصلا

- أنت متشغلش بالك أنا إللي هتصرف

نظرت إليها ولم أعلق أبدًا فيما كانت هي تبحث بعينيها في تفاصيل

بيتي وزواياه، قالت:

- بيتك حلو قوي very simple و شيك جدًا آخر حاجة

صمتت قليلا وأردفت:

- بقولك إيه ما تيجي نخرج شوية؟

- ...؟؟؟؟

- جاي على بالي نتمشى شوية على كورنيش النيل والجو إنهرده تحفة، إيه رأيك؟

قلت مترددًا:

- أيوه بس إنتي عارفه إنهرده كان يوم طويل وبكرة شغل وبنصحى من بدري و....

أشارت لي بكف يدها في إشارة لكي أتوقف عن الكلام وقالت:

- يا سيدي أنا وإنت بكرة أجازة وأهو بالمرة تنسى شوية من إللي حصل إنهرده

- أجازة؟ هو أنا لحقت؟ ده أنا مبقاليش يومين ليا عندكم في الفندق ده حتى الإستاذ حسن ياخد مني موقف سلبي يقول إيه بس؟ -

- ملكش دعوه بالأستاذ حسن أنا مسئولة عنك وفي نفس الوقت بنوب عنه في حاجات كتيرة غير كده هو مدّيني صلاحيات يعني أنا وهو واحد مافيش فرق فإشطة يعني وبعدين إطمن كده ولّما كده بيني وبينه تيلفونات راحه جايه وحبلغه ومش هيعترض متقلقش.

جعلتني كلماتها الواثقة تلك أشعر بالطمأنينة تجاه وضعي في وظيفتي الجديدة، حدّثت نفسي وقلت، لِما الخوف؟ ولم لا أستغل تلك الثقة الغالية في على الأقل لأكون عند حسن الظن وتحديدًا حسن ظن تلك الفتاة التي دخلت حياتي. في أي مكان عمل آخر أن توظف أي شخص هذا إن توظف في الأساس لن يسمح له بالإجازات إلا في أضيق الحدود.

كنت أرى لينا دائمًا كفتاة فريدة من نوعها، قبل معرفتها كنت كمن يعيش في وحدة الكهف المظلم، وحيدًا تمامًا ومنعزلا عن البشر، الآن أشعر معها بشئ مختلف ليصبح إدراكي للزمن فى حد ذاته قد انعدم خاصة عندما أكون معها، فسرعان ما وصلنا إلى كورنيش النيل وقد انتصفت الساعة الثامنة ليلا، كيف يمكن لي أن أنسى تلك الليلة، لم يكن كورنيش النيل يخلو من رواده أبدًا، منهم من هو على باب الله، والعاشقين، ومنهم من هو عائد من عمله متأخرًا يحمل إرهاقًا على وجهه، و شباب يستمعون إلى آخر صيحات الأغاني الشعبية و يتراقصون على أنغامها، وكان القمر قد تمركز مكتملا فوق النيل كان وجهه كامل الاستدارة نيّرًا، يثير بياضُه هالة عطرة تشبه تلك التي تحيط بالملائكة، ونسمات الهواء اللطيفة لا تكف عن مداعبة رواد النيل.

كنا نمشي على الكورنيش حتى قررت لينا أن نركب إحدى المراكب النيلية، وهنا تعرفت إلى عم مؤمن رجل يبلغ من العمر خمس وأربعين عامًا يعمل على أحد مراكب النيل، يرتدي جلبابًا رماديَّ اللون وعمه

بيضاء، تبدو على لكنته أنه من صعيد قنا، و كغيره من المراكب النيلية ينتظر الزبائن والرواد لكي يكتمل به العدد وينطلق في رحلته.

- يا أهلا وسهلا يا أهلا وسهلا بالأستاذة

استقبلنا عم مؤمن بترحاب كبير بمجرد أن وطئت أقدامنا مركبه

- فين الغيبة الطويلة دي يا أستاذة؟

- أهو مشاغل يا عم مؤمن إنت عارف حال الدنيا، آه أعرفك الأستاذ شادي

- أهلا يا بيه معلش متأخذنيش نور الأنسة لينا ملى المكان كله

ابتسمت له ولم أعلّق سوى برد اعتاد عليه لساني دائمًا، ولا يهمك

قالت لينا:

- إطلع بينا ياعم مؤمن

- هاااا، أطلع؟ يا أستاذة إنتي عارفة أنا لسه مسترزقتش

- عم مؤمن، هاااااا إطلع وأنا هرضيك

رد عم مؤمن باقتناع على مضد:

- إذا كان كده ماشي

- وبالمناسبة يا عم مؤمن مش عايزة أسمع صوت الأغاني بتاعتكم دي، أنا محتاجة شوية هدوء

- من عنيا يا ست الكل

وبسرعة دار محرك المركب النيلي لنجد أنفسنا في رحاب النيل، كانت لينا في بادئ الأمر تحدق في القمر المكتمل لدرجة جعلت مقلتي عينيها تتلألأن كحجر الماس، ومع هذه الأجواء التي تبعث على النفس بالطمأنينة والراحة الداخلية وجدت نفسي كحال لينا عيناي تتجهان إلى القمر، شعرت في لحظة ما بعم مؤمن وهو يقول في نفسه، هما اتخرسوا ولا إيه؟ لكنني لم أحفل به كثيرًا فقد مضى عليّ وقت طويل جدًا لم أقض هكذا وقت.

خرجت عن صمتها أخيرًا لتفتح مجالاً للحوار:

- إيه رأيك في الجو؟

- بقالي زمان مقضتش وقت في كورنيش النيل، حتى كنت بقول لنفسي قد إيه الجو ده وحشني

- فعلا؟ آخر مرهة كانت إمته؟

- من سنه فاتت

- كنت لوحدك؟

- لا

- طيب إيه؟

- مع خطيبتي

- خطيبتك؟ إنت مجبتش سيرة إنك كنت خاطب قبل كده

- لا مهو أنا فركشت، أو بمعنى أصح، هي إللي فركشت مش أنا

- لا ده إنت حكايتك حكاية

اعتدلت في جلستها

- ممكن تحكيلي؟

نظرت إليها ولم أفكر بل قررت أن أبوح لها ولو بجزء بسيط من ماضيّ الخاص:

- كانت زميلتي في الكلية، طول سنين الجامعة كنت مخبي مشاعري تجاهها جوّايا، إتخرجنا و فضلت سنين مشوفهاش، وكحال أغلب الشباب هعوز إيه غير بنت محترمة بنت عيلة محجبة تعرف ربنا، مرت أيام وسنين لحد إمتلكت الشجاعة وقلت لازم أرجع أكلمها تاني لحد ملاقي الفرصة المناسبة وأقولها إني بحبها، وفعلا حصل، كنت بكلمها إما في التليفون أو الواتس اب، أبويا الله يرحمه لمّا عرف قال خير البر عاجله ومكدبش خبر وروحنا لهم البيت بس لاجل الحظ جدها كان توفى بقاله أسبوع

- يااااه ده حظ منيل قوي

- هو فعلا حظ منيل، والدها كان راجل عملي إلى حد ما، توصلنا معاه إننا نقرى فاتحة والدبل والشبكة وكتب الكتاب يبقى على العيد رغم إننا كنا عايزين نلبس دبل ونخليها عائلية وكتب الكتاب والدخلة يبقى على العيد لكنه رفض

- وبعدين؟

- كان عنده شرط، إني مجيلهومش البيت أبدًا بحجة خوفه من إن حد يعرف في عيلتهم لحد ما يمهدوا الموضوع بطريقتهم و الست شهور يعدو ويجي معاد الفرح، كان مسموحلي بس إني أكلمها في التيليفون أو أبعتلها رسايل على الواتس اب.

- ده إنتو كنتو بعاد بقى

- حاولت إني أقرب المسافات على قد ماقدر وكنت دايمًا بقولها نصبر ومافيش أقرب من الأيام، ومافيش في الدينا حاجة غير نلتزم بكلام والدها، آخر مرة شوفتها فيها كانت هنا في كورنيش النيل، المرة اليتيمة ومتكررتش تاني، فضلنا على الحال ده تلات شهور بالضبط لحد ما لحظت إنها إتغيرت من نحيتي، متردش عليا، وكلامها فيه تحفز، لحد ما في يوم إتفاجئت بوالدها بيكلم والدي الله يرحمه وبيقوله البنت مش مرتاحة مع ابنك وإن البنت بحكم إنها بتاخد دروس دين الشيخ قالها إن اللي بتعمليه ده حرام

- يا سلالالام؟ إيه اللي حرمه؟

- كلامنا في التيليفون والواتس، والأصعب من كده إنها مبقتش حاسة نفسها معايا، أبويا لما قالي الحوار كله، كل اللي عملته كتبتلها كلمة واحدة بس على الواتس

- إيه هي؟

- بالتوفيق، تعرفي يا لينا، عمرها مقالتلي بحبك، رغم إني كنت

دايمًا بصارحها بمشاعري.

- ياااااه، معقولة؟

- ......

وضعت راحة يدها على يدي وقالت معتذرة:

- أنا آسفة إني فتحتك في موضوع زي ده مكنتش أقصد إنـي أفـتح جرح قديم

احمر وجهي بسبب لمسة يدها الناعمة:

- لا لا لا ولا يهمك، أنا نسيت الموضوع ده فعلا

قالت لي في سبيل المداعبة والمزاح:

- طيب إيه رأيك في لبناء؟ ماتخدها تتجوزها

ضحكت وقلت:

- وهوّ أنا ناقص مجانين

ضحكت، وكانت ضحكتها من القلب لا تنسى، صوتها كـان لا ينـسى أبدًا.. أسمع صوتها العذب حتـى الآن ولا يفـارق مـسامعي أبـدًا، في تلـك الليلة كان كل شئ يعبر عن صفاء قلبها ونقائه.

سألتها:

- وإنتي يا لينا، مرتبطيش قبل كده؟

- لحد دلوقتي ملقتش الإنسان المناسب إتقدملي كتير لكن ملقـتش نفسي مع أي حد خالص.

فتحت حقيبتها لتأخذ علبة السجائر، بدا ليّا وقتها، إنها إذا اشعلت تلك السيجارة فلن تنفث دخانها من رئتيها بل ما هو أكثر من ذلك في داخلها، أردفت:

- وعلى كل حال أنا الموضوع ده مش في دماغي، مش مدياله أي اهتمام، تقدر تقول سايباها على ربنا، يجي وقت ما يجي.

استغربت من ردها وقلت:

- غريبة، أول مرة أسمع بنت تقول الكلام ده

- ليه يعني؟

- يعني إللي أقصده إن أي بنت زيك ما بتصدق تتجوز علشان يبقى ليها حياتها الخاصة واستقلاليتها

ردت عليّ بعد أن نفثت الدخان الأخير من سيجارتها لتطفئها وقالت:

- وأنا ليا حياتي الخاصة حتى وأنا عايشة لوحدي، عادي يعني

هنا تذكرت حوار إبراهيم معي حينما قال:

(أمها متوفية وأبوها داير على حل شعره)

وترددت في أن أسألها عن وضعها هذا خوفًا من رد فعلها، لكن قلت لنفسي لما لا؟:

- لينا

- نعم يا شادي

- هو أنا ممكن أسألك سؤال بس متفهمنيش غلط أو تضايقي مني؟

- أكيد طبعا بلعكس، إيه إللي هيضايقني منك اتفضل اسأل براحتك

- هو إنتي ليه عايشه لوحدك؟ ملكيش قرايب مثلا؟ ؟ وفين والدك مش عايش معاكي ليه؟

ارتبكت لينا قليلا قبل أن تجيب:

- ده موضوع مش حابه أتكلم فيه دلوقتي لإنه يطول شرحه وملوش لازمه دلوقتي بعدين، بعدين هقولك

لم تكن تلك الإجابه مريحة بالنسبة لي وشعرت من ارتباكها هذا أنها تخفي شيئًا بخصوص والدها، ومن خلال معرفتي بها خلال الأيام الماضية استطعت أن أفهمها الى حد ما بالقدر الكافي الذي يجعلني أدرك متى تكون صادقة ومتى تكون عكس ذلك، شيئًا ما غريب يدور حول قصة والدها، وكهذا رد فعل فهي تحمل في قلبها مشاعر سلبية، قررت أن أجعل الأيام هي من تقرر لأكتشف هذه القصة، فهي أرادت مني أن أصادقها لسبب، ولم أضغط عليها واكتفيت بأن ابتسم وقلت:

- وعد؟

ردت علي بابتسامتها المعهودة:

- وعد

انتهت جولتنا في نهر النيل، وسرعان ما ذهبنا إلى بيوتنا، وعند باب

العمارة طمأنتني قائلة:

- متقلقش هكلم أستاذ حسن أول مروح البيت علشان أجازتنا بكره، أنا أصلا ناوية أربي لمياء وطه وهينشيلو شغل اليوم كله بكره ومتزعلش حقك عليّا وعندي أنا هجبهولك تصبح على خير.

غريب أمر هذه الفتاة، لولا أني أعرفها الآن لقلت إنها من فتيات السوء.. أخلاقها تقول إن أهلها أحسنوا تربيتها بغض النظر عن موضوع أبيها الغامض هذا، هناك شئ ما مشترك وهو الوحدة، ترغب أن تنتشل نفسها منه وتنتشلني أيضًا معها، قلبها نقي و تأكدت بالبرهان أنها كما قيل لي دي بنت جدعة وبميت راجل، وسألت نفسي سؤالا، بعد أن حلمت بهذا الكابوس المزعج الذي يخص لينا.. ما الذي يخفيه القدر لي معها؟

(4)

استيقظت باكرًا كما اعتدت في الأيام السابقة، برغم أن اليوم هو أجازة كما وعدت لينا إلا أنني لم أستطع النوم مجددًا، نظرت إلى شاشة هاتفي، إنه يوم الاثنين الساعة الخامسة والنصف صباحًا، أمضيت ساعات في غرفتي، أجلس في سكون تام كراهب يتأمل الكون من داخل معبده، لا أفعل أي شئ، حتى سمعت صوت خطوات أمي في الصالون وخرجت

– صباح الخير يا ماما

– صباح النور يا شادي، إيه ده إنت منزلتش الشغل ليه؟ هتروح إمته؟

– لا يا ماما انهرده أجازة

نظرت إليّ في ذهول وقالت:

– أجازة؟ أجازة إيه إنت لحقت؟

ذكرني رد فعلها هذا برد فعلي مع لينا حينما قررت إعطائي وإياها أجازة.

– آه قالولي إنت أجازة بكرة، وأهو أديني معاكي، أجازة يعني

كانت أمي جالسة على سجادة الصلاة استعدادًا لصلاة الصبح، جلست بجوارها وأمسكت يدها لأقبلها وقلت:

– وبعدين يا ست الحبايب تكرهي إن ابنك يقعد معاكي إنهرده

في البيت؟

- طيب يا سيدي، الله يرضى عليك، بس مش هوصيك خلي شغلك في حباب عنيك

- حاضر يا حبيبتي متوصيش حريص .

أمضيت معظم الوقت مع والدتي في أعمال المنزل، بينما كانت هي تقوم بعملها في المطبخ، ففي غيابي تقوم هي بكل الأعمال دون استثناء، لذا كان وجودي بمثابة تخفيف الحمل من على عاتقها، نعم لم تكن شقتنا كبيرة، لكن في حالة سيدة مسنة فهو أمر شاق.

أنتهيت من أعمال الكنس والتنظيف، وبدت الشقة في أفضل حال كما يجب أن تكون دائمًا، جلست لأستريح قليلا وأستجمع قواي الجسدية لكن حال دون ذلك صوت هاتفي لأهرع إليه ظنًا مني أن الطرف المتصل هو العمل بكل تأكيد، لكن وعلى عكس ما هو متوقع كانت لينا هي المتصلة، فأجبت:

- ألو .

- ألو إزيك صباح الخير ياعم شادي .

- صباح النور

- أخبارك إيه إنهرده؟

- الحمد لله بخير

- هتعمل إيه إنهرده؟

- أبدًا ولا حاجة غالبًا هكون في البيت إنهرده

خرجت أمي من المطبخ لترى مع من أتحدث

- طيب إيه رأيك أنا عازماك إنت وطنط إنهرده على الغدا

- بجد؟

- آه أكيد طبعًا بجد تحب تيجي إنت وطنط إمته؟

مترددًا:

- مش عارف، شوفي الوقت إللي يناسبك

- طيب عامة الغدا هكون مجهزاه على الساعة تلاتة، هستناكم متتأخروش بقى

وانتهت المكالمة على ذلك، لم تزد حرفًا ولم تنقص حرفًا، نقلت لأمي تفاصيل مكالمتي مع لينا وعن مدى رغبتها في استضافتنا على الغداء إلا أنها رفضت الدعوة ناقلة لها رسالة اعتذار بدعوى أنها لا تقوى على الحراك ولا ترتاح إلا في منزلها، ومن جهتي لم أستطع رفض دعوتها، وذهبت إلى منزلها في الموعد المحدد.

كانت لينا تسكن بمفردها في فيلا دوبلكس أرضي في إحدى العمارات على بعد شارع من مسكني، على الأرجح لا تتجاوز ال 350 متر وحديقة صغيرة تعكس الأشجار والزهور فيها أنها تعتني بها عناية خاصة جدًا.

ضغطت على جرس الباب، و استقبلتني كما لم تستقبلني من قبل، و

رأتها عيناي كما لم ترها من قبل، لا أنسى منظرها ولا ملبسها أبدًا، كانت ترتدي عباية من الحرير زرقاء اللون بها قليل من التطريزات ولم يكن فيها كثير من التفاصيل إلا أن هذا الملبس عكس زوقها الرفيع، وعن وجهها فكانت تضع القليل من المكياج و شعرها البني كان قد احتضن مشبكًا ليبدو ملمومًا، حتى عطرها الباريسي المميز كان له القدرة في أن يفوح منها لتملك أي مكان تجلس فيه.

دخلت من باب الحديقة و قبل أن تغلق الباب نظرت إلى الخارج وقالت:

- إيه ده هي طنط مجتش معاك ليه؟

- معلش يا لينا هي بتسلم عليكي وبتشكرك جدًا على العزومة بس هي تعبانة شوية وصعب تخرج من البيت

- لا أبدًا ألف سلامة عليها، اتفضل اتفضل أهلا وسهلا

من الحديقة الصغيرة إلى داخل فيلتها، وفي الصالون تحديدًا، بدا كل شئ من الديكور المدهب و النجف الكريستالي و السجاد بل وحتى كراسي وكنب الصالون فضلا عن اللوحات الزيتية المنتشرة في بعض الحوائط كما يجب أن يكون، وقد تأكدت من خلال رؤيتي لهذا المستوى أن لينا تأتي من مستوى مادي عالي.

كان المطبخ في زاوية من الصالون وبه فتحة صغيرة من الجدار المطل على الصالون نفسه بينما كان بابه من الخلف وحسبما أتذكر كان الباب

بالقرب من باب الحديقة إلى حد ما، بينما كانت السفرة بالقرب من المطبخ في الجزء الأخير من الصالون.

كنت أنتظرها في الصالون بينما كانت هي في المطبخ وعندما خرجت قالت:

- ده أنا عملالك إنهرده لازانيا و شوية تحابيش كده على جمب هتاكل صوابعك وراها، اتفضل الأكل جاهز

عندما توجهت إلى السفرة كان نصفها مليئ بما لذ وطاب، صينية اللازانيا و صينية أخرى من اللحم وصينية بها بعض من قطع الدجاج المشوي و طبق آخر به بعض من البطاطا المقلية وسلطات بأنواعها و مقبلات فضلات عن المشروبات الغازية والعصير.

قلت لها مازحًا:

- إيه ده كله؟ ليه التعب ده؟ حد قالك علينا إني أكول لدرجة الفجع؟

ضحكت:

- ياسيدي إنت بس كل بالهنا والشفا

وجلسنا سويًا وجهًا لوجه على السفرة، كانت مهتمة بي إلى أبعد درجة حتى إنها كانت تقطع من صينية اللازانيا وتضعه في طبقي ولم تعطني فرصة أبدًا في أن أتعامل مع طعامها بنفسي لدرجة أنها قد أكلت القليل مما صنعت يدها، كان طعامها شهي لدرجة لا توصف، سألتها:

- إنتي عملتي كل الأكل ده لوحدك؟

نظرت لي وقد بادرتني بغمزة من عينيها وقالت:

- عندك شك؟

- بصراحة لا، تسلم إيدك بجد، أنا الحمد لله كده

- إيه ده معقولة إنت مكلتش حاجة

- ده أنا بقيت على آخرى، الحمد لله تسلم إيدك

مضى بعض من الوقت لتدعوني للجلوس خارجًا في الحديقة ذات الهواء الطلق و مع بعض من القهوة الساخنه كنت أستحضر بعض الأسئلة لأحاورها ولكن و بطريقة ما سارعتني بسؤالها وقالت:

- أنا حاسة يا شادي إن جواك كلام عايز تقوله

ترددت وتعلثمت:

- ها، أنا؟

- اتكلم يا شادي

استجمعت شجاعتي

- بصراحة يا لينا أه في وفي حاجات كتيرة كمان

وضعت فنجان قهوتها عى الطاولة أمامها وقالت:

- زي إيه؟

- إنتي إزاي عايشة لوحدك في بيت طويل عريض زي ده؟

- عادي يعني إيه الغريبة في كده؟

– محدش من قرايبك بيجيلك؟ أي حد؟ يا بنتي إنتي على كده عايشة في وحدة قاتلة

– مليش قرايب كتير، لمياء من وقت للتاني بتجيلي وبنخرج سوا أحيانا، وناس صحابي متعرفهمش بيزوروني هنا في البيت أو في مكان عام لما بعمل حفلات أو عزومة عندي، أهو عندي كذا حاجة أقدر أعملها علشان أهرب من الوحدة إللي بتقول عليها.

– طيب ده لما بتكوني مع الناس، طيب لوحدك هتعملي إيه في وحدتك دي؟

– طالما إنت معايا وصاحبي القريب انا مش هحس بوحدة

– ...؟؟؟؟

– مالك سكت ليه؟ على فكرة بس علشان تبقى عارف محدش من الناس إللي حواليا دي حسيت إن ممكن حد فيهم يبقى قريب مني لحد ما اتعرفت عليك.

شعرت من وراء تلك الإجابة أن هناك شيئًا ما تحاول لينا الهرب منه أو بالأحرى هي بحاجة لشخص ما يكون بجانبها أغلب الوقت، نعم، في داخلها شئ تخفيه أو ربما تعيش في سجن خفي.

كنت أنوي أن أسألها عن والدها إلى أن رن هاتفها النقال وحينما ردت على المكالمة بدا على صوتها الغضب واللوم برغم أنها كانت تتحدث بهدوء:

- ألو، أهلا إزيك يا هانم، مبدئيًا إنتي إيه إللي عملتيه ده مع شادي؟ لا لا لا مش عايزة أسمع أعذار، هو كتر خيره إنه أنقذك من الموقف السخيف إللي حطيتي نفسك فيه، لا والله؟ بصي يا لمياء إحنا أصحاب وكل حاجة بس إللي عملتيه مع شادي ده غير مسموح لأن ببساطة أنا وشادي أصحاب جدًا ومعنى إنك غلطتي فيه يبقى غلطتي فيا أنا شخصيًا، لا بجد إنتي إنسانة غبية جدًا ده إنسان محترم، عامة، بصي يا لمياء، لا لا، أدامك حل من اتنين يا تشوفيه بكره وتعتذريله يا إما هتخد موقف إداري وأفتح تحقيق في موضوع الجيست الكويتي وساعتها هتزعلي مني جدًا، أنا قلت إللي عندي وفكري كويس، باي مع سلامة.

انتهت المكالمة على ذلك، وضعت هاتفها بجانبها وأردفت قائلا:

- إيه يا لينا ليه كده؟ مكنش في داعي للي عملتيه ده؟ كده هتكرهني أكتر.

- لا لا متخفش هي على فكرة بتكلمني وهي عارفة إنها غلطانة صوتها باين عليه، صاحبتي وعارفها، وهتشوف بكره هتعتذرلك وهتقول لينا قالت، هي دبش شوية حبتين بس قلبها طيب صدقني.

- أنا مش عارف أقول إيه بصراحه.

- ولا حاجة متقولش حاجة، إنت صاحبي وأخويا لازم أقف جمبك وفي ضهرك.

للمرة الألف وربما المليون تؤكد على رغبتها القوية في التمسك بي والآن تقول إننا بمثابة أخوة.

تجرأت في السؤال أخيرًا وقلت:

– كنت عايز أسألك يا لينا، هو والدك فين بالضبط وليه مش عايش معاكي؟ كنتي قولتي إن والدتك متوفية وكده، هو ليه سايبك لوحدك؟

بدا على وجهها علامات التوتر وللحظات لم تدري ماتقول وهو ما جعلني أردف قائلا:

– اهدي بس اهدي، مافيش داعي للتوتر ده، إنتي من ساعة ماتعرفتي عليا وإنتي بتقولي إحنا أصحاب وفي ضهرك وأنا معاك وإنهرده قولتي إنت زي أخويا، فإذا ده يخليني أقولك إنتي أختي ومتخبيش عليا حاجة، مهما كان الموضوع أنا كاتم سرك

نظرت إلي وكأنها اطمأنت لردي عليها وبرغم أن ما باحته لي يومها لم يكن كافيًا إلا أنني اعتبرت ذلك بداية حقيقية لعلاقتنا ليس لأنني لم اعتبر ما سبق كان تظاهرًا ونفاقًا في العلاقة لكنني كنت أرغب في البحث في أعماق لينا وحياتها الشخصية كما حاولت هي تمامًا، قالت:

– الحقيقة هو موضوع كبير شوية ومش عارفه أبدأ منين

لأجعلها تطمئن أكثر أردفت قائلا:

– براحتك خالص ابدأي زي ما إنتي عايزه

- بصراحة امي توفت بسبب تعبها من الكانسر، والدي مكنش معانا طول الوقت بمعنى أدق اتخلى عنها في عز شدتها، حتى بعد ماتوفت من كام سنة مخضرش الدفنة ولا حتى اتصل وسأل، باختصار العلاقة بين والدي وبيني مقطوعة

كنت أنظر إليها منتظرًا المزيد ولكنها لم تبح بأكثر من ذلك، علمت وقتها وتأكدت من السبب وراء تمسكها بي.

استأذنت منها للرحيل في تمام الساعة الثامنة والنصف وعند الباب صافحتها وعندما رغبت في ترك يدها ضغطت هي علي يدي وقالت:

- أنا فكرت ألف مره قبل ما اعمل التصرف ده، لكن مافيش حد أقدر أثق فيه أكتر منك خد ده مفتاح الفيلا لو حصلي حاجة أي حاجة أرجوك ماتتخلاش عني.

نظرت إلى المفتاح وإليها في ذهول تام وقلت:

- لينا إنتي متأكدة من إللي بتقوليه ده؟ محدش بيعمل كده في الدنيا كلها؟ طيب الجيران يقولو إيه لما يشوفوني بفتح باب بيتك بنفسي وأنا غزيب بالنسبالهم

- صدقني محدش له الحق إنه يحكم عليا وميهمنيش كلام الناس، أنا عارفاك كويس ومتأكدة من أمانتك وإخلاصك.

- أرجوكي يا لينا متحرجنيش، أنا...

- أنا إللي بتوسل إليك يا شادي خد المفتاح، علشان خاطري

كانت تبدو على نظراتها الجدية، لوهلة من الوقت أعتقدت أنها تهذي أو تقول ما لا يحمد عقباه، لكنها كانت تتكلم بجدية تامة، هي فعلا بحاجة لي، ولكن ماذا أفعل؟ إذا ما نظر أي أحد الى الناس فسيراهم يتهامسون، والناس في مثل تلك الأمور لا ترحم، وكعادتنا كمصريين إمّا نهول من أسخف الأمور أو نسخف من أعظم الأمور.

علقت المفتاح في ميدالية مفاتيحي الشخصية واتخذت قرارًا بيني وبين نفسي أنني لن أستخدمه إلا برغبة من لينا شخصيًا واعتبرته أمانة أودعته عندي إلى أن يحين الوقت المناسب لأرد لها المفتاح.

(5)

وضع الدكتور مصطفى القلم قائلا:

- واضح أنها كانت بتثق فيك جدًا

- فعلا، ثقتها فيا كانت بلا حدود من أول يوم اتعرفنا على بعض فيه

- تعرف ليه هي عملت كده؟ محاولتش تفسر أياميها إيه إللي يخلي بنت عايشة لوحدها في بيت طويل عريض زي ما وصفتلي تدي المفتاح لحد غريب عنها مهما كانت درجة الثقة والصحوبية؟

نظر إليه شادي قائلا:

- يوميها كنت مستغربًا حاولت أفسر بس ملقتش أي تفسير للي حصل اتضحلي ده في الآخر بس

- طيب خلينا منروحش للنهاية على طول، أنا أقولك هي عملت كده ليه وده تفسيري إللي استنتجته من خلال كلامك

اتسعت عيناه قائلا في لهفة:

- ارجوك قولي، أنا تعبان بسبب الموضوع ده بقالي كتير

- حاضر حاضر اهدى بس خد اشرب كوباية المايه دي

بعد أن ناوله الماء وشاهد مريضه وهو يشرب ويرتوي أردف قائلا:

- واضح أنها كانت على الرغم من مستواها الاجتماعي إللي عايشة

فيه ومظهرها وشكل البيت كانت بتفتقد أهم حاجة، البني آدم مننا دايمًا بيحتاجها وميقدرش يعيش من غيرها، السند، الظهر إللي الواحد مننا يلجأله وقت الاحتياج والشدة، أعتقد أنها كانت بتدور على حد تحس معاه بالارتياح النفسي، بتحاول تدور على الدفا واللحظة الحلوة علشان تمسك فيها، آه كانت عايشة معاكم و فوسطيكم بترسم على وشوشكم السعادة والابتسامة وأنت واحد من الناس دي لحد ما اتعودت على ابتسامتها المعهودة زي ما بتقول، زي السحابة بالظبط بتمطر سعادة على الكل، بس بمجرد لما كانت تبقى وحدها مكنتش بتلاقي اي حد من إللي كانت سبب في سعادتهم، بالتأكيد كانت عايشة في ظلمة الوحدة وده إللي لحد ما حاولت إنها تغيره لحد ما شافتك واتعرفت عليك والدليل موضوع المفتاح إنها اتأكدت إنها لاقت الشخص إللي كانت بتدور عليه، بس قولي صحيح، هي العلاقة بينكم كانت علاقة حب؟

- لا كنا أكتر من أخوات كنا أصحاب بجد مش أكتر
- مممممم تمام تمام ، طيب موضوع أهلها ده محاولتش تعرفه
- عرفته بس مكنش من لينا شخصيًا
- ومال من مين؟
- تاني يوم بموضوع المفتاح على طول من لمياء
- وطبعًا كالعادة لينا عدت عليك الصبح ورحتم الشغل سوا
- ده صحيح

- طيب احكيلي تفاصيل اليوم ده

لم نتكلم كثيرًا ذلك الصباح، ليس أكثر من صباح الخير وصباح النور، إلى جانب الحديث عن بعض الموضوعات التي ليس لها أي أهمية وإن كانت لقتل الوقت، كانت لينا تعشق الأغاني القديمة وتحتفظ ببعض الأسطوانات المدمجة لأم كلثوم و عبدالحليم حافظ وذلك الجيل القديم وإن استمعت لفنان معاصر فعليها بأغانية القديمة كجورج وسوف وأغنية كلام الناس، كانت تمتلك كنزًا موسيقيًا في سياراتها، حتى عندما كنت أرغب في الحديث معها في طريقنا إلى الفندق أراها منسجمة مع أغنية أم كلثوم هل رأى الحب سكارى، إلا أن انسجامها الأكبر كان مع قصيدة بصوت أم كلثوم بعنوان ثورة الشك، كانت كمن غادر من الواقع ليسكن ذلك العالم الآخر، أحسست بإحساسها عندما زادت من مستوى الصوت لأبحر معها في ثنايا الكلمات، حتى الآن مازالت تلك الكلمات تحوم في ذاكرتي...

أكاد أشكُّ في نفسي لأني أكادُ أشكُّ فيك وأنت منّي

يقولُ الناسُ إنّك خنتَ عهدي ولم تحفظْ هوايَ ولم تصنّي

وأنتَ مُناي أجمعها مشتْ بي إليكَ خُطى الشبابِ المُطمئنِّ

يُكذِّبُ فيكَ كلَّ الناس قلبي وتسمعُ فيك كلَّ الناس أُذني

وكمْ طافتْ عليَّ ظلالُ شكٍ أقضّت مضجعي واستعبدتني

كأنّي طافَ بي رَكبُ الليالي يُحدِّثُ عنك في الدنيا وعنّي

على أنّي أُغالطُ فيكَ سمعي وتُبصِر فيك غيرَ الشكِّ عيني

وما أنا بالمُصدِّق فيك قولاً ولكنّي شقيتُ بحُسن ظنّي

و بي مماّ يُساوِرُني كثيرٌ من الشَّجن المؤرّق لا تدعني

تُعذِّبُ في لهيبِ الشكِّ روحي وتَشقى بالظنون وبالتمنّي

أجبني إذ سألتُك هل صحيحٌ حديثُ الناس خُنتَ ألمْ تَخنّي؟

أكادُ أشكُّ في نفسي لأنّي أكادُ أشكُّ فيك وأنتَ مني

يقولُ الناسُ إنك خنت عهدي و لم تحفظْ هواي ولم تَصُنّي

وأنت مُنايَ أجمعُها مَشتْ بي إليك خُطى الشّبابِ المُطمئنَ

استمعت إلى تلك القصيدة مرتين متتاليتين ولم ألقي إلى ذلك بالا فبقدر استمتاعي بقضاء كل صباح معها بقدر استمتاعي بمشاهدة ملامحها و ابتسامتها والإحساس بسكون روحها حتى ألفت روحي صحبتها لأتخلى بذلك أخيرًا عن شكوكي تجاهها ومخاوفي، أرادت مني أن أكون صديقًا وأكثر من أخ لها في العلاقة وبدوري اقنعت نفسي لتكون هي صديقة وأكثر من أخت لي تمامًا كما أرادت.

قبل أن ندخل من باب الفندق قالت لي:

- لو لمياء عملت معاك أي حاجة بلغني على طول

- والله يا لينا إنتي مكبرة الموضوع

استقبلنا الأستاذ حسن بترحاب و استأذن لينا لكي تدخل معه المكتب، ولم تكن لمياء قد أتت بعد ولا حتى طه فوقفت وحدي تقريبًا في الريسشن لمدة عشر دقائق حتى أتيا معًا، كانت لمياء تنظر إليّ وتبادلني

تلك النظرات، إلا أن تلك النظرات كانت مختلفة عن سابقتها، كانت نظرات الندم عما حدث، أما طه فلم يشغل بالا حتى ظننت لوهلة أن الدنيا إذا انقلبت رأسًا على عقب فلن يحرك ساكنًا.

انشغلت كثيرًا ذلك اليوم وكان النزلاء لا ينفكون أبدًا في التردد عليّا او حتى الاتصال بالهاتف، أمضيت كثيرًا من الوقت هكذا صامتا ولمياء كانت تحاول أن تبحث عن وسيلة لبدأ الحوار أما لينا فكانت تارة تأتي إلينا وتساعدنا في العمل وتارة أخرى تمضي الوقت مع الأستاذ حسن في مكتبه لتتفق معه على متطلبات العمل وخلافه.

أرهقت قليلا من العمل واستأذنت الأستاذ حسن لأحصل على وقت قليل أستريح فيه ومن ثم أستكمل العمل، وفي الحقيقة لم يرد لي أي طلب وحتى لا يتأثر العمل وتخفيفًا للضغط قامت لينا لتقف مكاني حتى أعود، بالمقربة من الريسبشن كان هناك كافيه توسط المكان وهو مواجهة تمامًا لقاعات المؤتمرات، جلست وتناولت فنجان قهوة ولم تمض دقائق حتى شعرت بشخص ما يقف ورائي، وعندما التفت وجدت لمياء تبتسم على استحياء وقد احمر وجهها قليلا لدرجة أني لم أفرق بين احمرار وجهها و المكياج الذي زين وجهها.

قالت:

- إزيك يا شادي امنمم. ممكن أقعد معاك شوية؟ لو مش هضايقك بس.

- اتفضلي

سبحان مغير الأحوال، لا يمكن أن تكون هذه لمياء؛ تلك الفتاة ذات الطبع الثائر كالبركان، الآن تبدو أمامي كالحمل الوديع

- إنهرده الشغل كتير مش كده؟
- آه فعلا ربنا بيعين إن شاء الله

سكتت لثواني واستكملت قائلة:

- شادي أنا آسفة، بجد أنا آسفة، مش عارفة أنا عملت كده إزاي ولّا قولتلك الكلام ده ليه مع إن المفروض كنت أشكرك ساعتها، بس استسلمت للشيطان وحصل إللي حصل، وأنا آسفة لأني مكنتش محترمة معاك من أول ما جيت تشتغل معانا لحد دلوقتي أنت إنسان محترم جدًا مش عارفة إذا هتقبل اعتذاري أو لا، بس أتمنى إنك تسامحني

ذهلت حقًا من ذلك التحول في النبرة وطريقة الكلام، كنت في حالة اندهاش تام

- لا أبدًا، محصلش حاجة، حصل خير
- بجد؟ بالبساطة دي
- آه يا لمياء بالبساطة دي
- انا بجد مش عارفة أقولك إيه

أردفت:

- إنت موجود على الفيس بوك مش كده

- آه وهتلاقيني عند لينا كمان في الفيس

- طيب وليه؟ ممكن تديني موبايلك لو فيه إنترنت

كنت قد وضعت هاتفي أمامي على الطاولة وبرغم أنها استأذنت إلا أن يدها سارعت بالتقاطه، وبما أن الفيس بوك عندي مفتوح دائمًا عندي فلم يعقها أن تفتحه هي دون الحاجة لكلمة المرور والبريد الأكتروني، كتبت اسمها ببساطة و أرسلت بطلب الإضافة

- تمام كده أنا هقبل الإضافه في أسرع وقت ممكن

- أوكي مافيش مشكلة خالص

كانت لمياء تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا، منافسة لينا رقم واحد لدى الأستاذ حسن فلها نفس القدرات والميزات إلى حد ما إلا أنها كانت تفتقر إلى شئ واحد فقط وهو كيفية التعامل مع المواقف والمشاكل التي يمكن أن يتعرض لها أي عمل ليس فقط العمل الفندقي، بمعنى أدق كان لديها نقطة سلبية في التعامل مع النزلاء وهو ما رجح كفة لينا عند الأستاذ حسن ليجعلها نائبًا له ويعتمد عليها في كثير من الأمور، كان للمياء مظهر مميز في الشكل والملبس تمامًا كما تظهر لينا شخصية، نفس الطول تقريبًا، شعرها قصير وكانت تصبغه دائمًا باللون الأحمر، رشيقة القوام وعلى الأرجح أن وزنها كوزن لينا، لم تكن ممتلئة أبدًا، وبالمقارنة مع لينا فإن المنطقة الوحيدة في جسمها ممتلئة هو صدرها فقط فيما عدا ذلك تظن أنهما توأم في الشكل والمظهر كالجوزاء لكن ليس في الصفات

والطباع.

وفي الحقيقة لم أكن متاكدًا من مدى مصداقية اعتذارها خصوصًا أن لينا في مكالمتها لها قالت إنه إن لم تعتذر فستتخذ موقفًا لن تحمد عقباه وتقطع العلاقة بينهما، لمدة دقيقة وجدت نفسي حائرًا بين أمرين هل اعتذرت لأنها شعرت بخطئها أم اعتذرت مجبرة تحت تهديد واضح وصريح؟ و سواء كان هذا أو ذاك فقد قبلت الاعتذار لأدفن العداء وأحافظ في نفس الوقت على علاقة لياء بلينا ومن جهة أخرى أكسب أصدقاء جدد.

عدت أنا و لمياء معًا إلى الريسبشن ولم يكن مشغولا باستفسارات النزلاء و الغريب أيضًا أن الهاتف الذي لم يكن يهدأ أبدًا قد صمت أخيرًا، عدنا جميعًا إلى أماكننا ليكون من جهة اليسار طه ولمياء و على اليمين تقف لينا وأنا، كنت أتوسط لينا ولمياء كل منا أمام جهاز الكومبيوتر الخاص به، اقتربت من لينا لتحدثني بصوت خافت في أذني وقالت:

- إيه اللي حصل؟

- لا تمام مافيش حاجة البنت اعتذرت خلاص وأنا قبلت اعتذارها

نظرت إلى شاشة الكومبيوتر وهزت رأسها قائلة:

- تمام كده

عملنا معًا جميعًا بشكل متناغم وكأن العداء والفتور الذي دار بيني وبين لمياء وحتى طه الذي وقف على الحياد قد زال إلى الأبد، للينا تأثير

كما السحر على البشر، مضت ساعتان تقريبًا لنفاجأ جميعًا بذلك النزيل الكويتي يدخل من باب الفندق متجهًا نحونا ومعه فتاة تبدو من مظهرها أنها من بائعات الهوى، بالنظر إلى الساعة وجدنا أنها قاربت من الرابعة عصرًا، شعرنا بتوتر لمياء وسمعتها تقول بصوت خافت:

- يادي النيلة ده إيه إللي جابه دلوقتي أستر يارب

اقترب منا وقال بعد رمق لمياء بنظرة ازدراء:

- ما أبي أي أحد يزعجني أو يدج عليّا الباب أو التيليفون حتى الروم السيرفس ما ابييه، فهمتو؟

أجابت لينا بهدوء:

- تحت أمرك يا فندم إحنا في خدمتك

- يعطيج العافية

ثم وضع ذراعه على كتف بائعة الهوى وقال بلهجتنا المصرية:

- يلا يا حلو إنت ساعتنا ساعة حظ

ودخل المصعد ليختفي عن نظرنا، نظر كل منا إلى الآخر وقلت:

- أنا مش مستريح أبدًا للراجل ده

رد طه:

- والله أنا شايف إننا لا شوفنا ولا سمعنا، الراجل وجاي بفلوسه ولو حد فينا أو أي حد قرّب من غرفته هيطربقها فوق دماغنا

لمياء قائلة:

- إنتو شوفتم بصّلي إزاي؟ يخرب بيته البعيد ده ولا أكني قتلاله قتيل.

أما لينا فلم تعلق واكتفت بأن تفتح جهازها وترى بياناته، الاسم: منصور القحطاني، الجنسية: الكويت، مواليد 1982، المهنة: رجل أعمال، مدة الإقامة في الفندق: خمسة عشر يومًا أقام منها أربعة أيام فقط، مقيم في الطابق التاسع غرفة خمسة بحسب ما أتذكر.

لا ندري ما هو سبب وجوده في القاهرة ولا هو نوع العمل الذي يكسب منه عيشه فقط تلك البيانات عنه، حتى فوجئنا به مرة أخرى بعد ربع ساعة فقط ومعه حقيبته راغبًا في الرحيل من الفندق، قامت لينا بعمل تلك الإجراءات له وبشكل فظ ألقى المفتاح أمامها وكأنها نكرة أمامه وعندما تدخلت وبدأت في الرد اعتراضًا على تصرفه امسكتني لينا من يدي حتى أصمت وتقول هي بلباقة:

- نورتنا يا فندم

وكان رد ذلك المنصور الفظ:

- الله لا يعطيج العافية

كان أحد ما ينتظره خارج الفندق بسيارة فارهة من نوع مرسيدس ورحل إلى وجهته المجهولة بالنسبة لنا، قلت للينا:

- أنا مش مطمن يا لينا، هي البنت إللي كانت معاه فين؟ منزلتش ليه معاه؟

بشك وقلق أجابت:

- مش عارفة، حاسة إن في حاجة غلط.
- طيب هاتي المفتاح أنا هطلع أشوف في إيه
- أنا جاية معاك

وبما أن لمياء كانت على يساري فقط سمعت الحوار وقالت:

- انا كمان جاية

أما طه فقال ببرود:

أما أنا بقى مليش في الحوارات دي خالص أنا ماشي جمب الحيط، عيشو حياتكم أنتم وأنا هنا همشي الشغل.

كانت خطواتي تسبق خطوات لينا ولمياء، لأرى ما الذي جعل منصور خرج غاضبًا بهذا الشكل، فتحت الغرفة ودخلت أنا أولا، كان كل شئ في الغرفة مبعثرًا، زجاجات الخمور مكسورة، الخزانة مفتوحة، الأباجورات ملقاة على الأرض، والتلفاز مفتوح على قناة مزيكا، كان كل شئ في الغرفة في حالة يرثى لها، كل هذا لم يشغل بالنا حتى لفت نظري بعض من بقع الدماء على ملائة السرير الناصعة البياض، كانت الدماء تبدأ من السرير وتنتهي إلى الحمام كخط السير تمامًا، وعندما دخلت الحمام وجدت بائعة الهوى ملقاة على الأرض عارية و ملفوفة بفوطة الحمام، تواري وجهها وتبكي بكاء مكتومًا، كان الجزء السفلي من الفوطة مخضبًا بالدماء فصرخت مناديًا لينا ولمياء.

- تعالوا بسرعة الحمام

وعندما أتيتا ورائي وشاهدتا المظهر اخرجتني لينا من الحمام وأقفلت وراءها الباب لأسمع صرخاتهما و قلقهما من مدى خطورة حالة تلك الفتاة، وقفت وراء الباب لعلي أعرف سبب ما حدث

- آآآآآآه

صوت ألمها كان فظيعًا ويجعل أي إنسان يشفق عليها، سمعت لينا تقول للمياء:

- واضح إنه ضربها جامد جدًا، قوليلي يا حبيبتي متخافيش إيه إللي حصل؟

تبكي منهارة

- طيب بلاش اسمك إيه؟

ترد بصوت يعتصره الألم:

- أحلام

لمياء قائلة:

- دي في حالة صدمة وبتترعش

سألتها لينا:

- هو إيه إللي يخليه يضربك بالشكل ده؟ آه علشان كده طيب أنا فهمت خلاص ساعديني يا لمياء

وكان كل ما سمعته هو صوت الماء والبكاء و الألم؛ وعندما أغلقت

إحداهن الماء خرجت لمياء لتأتي بملابس أحلام حتى ترتديها، وعندما خرجن كانت لينا ولمياء كل منهما تمسك بيد أحلام التي تمشي وهي خائرة القوى وبوجه يملؤه الكدمات، قلت:

- إحنا لازم نبلغ الشرطة

ردت أحلام وهي منهارة في البكاء:

- لا لا بلاش يستر عرضك بلاش تبلغ الشرطة أنا في عرضك والنبي

اقتربت لينا منها لطمأنتها وقالت:

- خلاص خلاص اهدي يا أحلام مش هنجيب سيرة إيه إللي حصل بس فهميني؟

مسحت دموعها واستجمعت شتات أعصابها وسردت الواقعة:

- أنا شغالة في كباريه في الهرم، بقاله يومين تلاته بيجي الكباريه وكان لما بيشوفني بيحاول يتوددلي، ولما كلمني إنه عايزني في ليلة حمرا بمقابل ألف جنيه علشان أرضى إني آجي معاه رضيت رغم إن والله العظيم والله العظيم أنا عمري ما عملت علاقة مع حد قبل كده أنا لسه بشرفي والله

إنهارت في البكاء مجددًا واستأنفت:

- كلمني وقالي إنه هياخدني بنفسه من مكان في الهرم غير الكباريه ويوصلني الفندق هنا و ده إللي حصل فعلا، أول ما طلعت معاه الغرفة

هنا، جالي تعب ال Period فجأة ومكنتش عاملة حسابي، شاف الدم اتجنن وبدأ يشتم وهاتك يا ضرب في وشي وفي بطني، كنت هموت في إيده، وعلشان يغطي على العمله أخد مني موبايلي علشان مكلمش حد وخد الخومسميت جنيه مقدم اللي دفعهالي وأخد شنطة هدومه ومشي

بكت بشكل هستيري أكثر من السابق وقالت:

- الله يلعن ابو الحاجة في الأرض اللي بتجيب للواحد الذل والبهدلة.

لوهلة وقفنا في ذهول تام مما سمعنا، من جهتي ولياء لم تعلق، أما لينا فقالت لها:

- بصي إنتي هتنزلي معايا دلوقتي هخرجك من باب غير الباب اللي دخلتي منه علشان محدش يشك في حاجة وهديكي رقمي إما تبقي كويسة إبقي كلميني

بيكاء مكتوم قالت:

- ربنا يخليكي أنا مش عارفة أشكرك إزاي جميلك ده مش هنساه أبدًا

وجهت لينا كلامها لي و للمياء وأردفت:

- شادي لمياء، بعد إذنكم رتبو الأوضة شوية علشان لما يجي الكبير ميلاقيش المنظر ده ويبلغ، لمياء بعد إذنك لو تتصرفي في الدم وتمسحيه من الأرضية والملاية كوميها في بعضها بحيث الدم ميبينش فيها، ولما تخلصوا

كلموا الكير فورًا.

وهو ما حدث بالفعل غطينا على الجريمة الكاملة وكأن شيئًا لم يكن، ورجعت الغرفة كما كانت أفضل، و أثناء نزولنا في المصعد قالت لي لمياء:

- تصدق البنت صعبت عليا قوي

لم أعلق على كلامها لتستطرد هي

- أنا مش فاهمة البني آدم ده إيه؟ شيطان؟

- إحمدي ربنا إنها جت على قد كده ولو البنت دي زي ما بتقول لسه بشرفها يبقى أمها دعيلها بجد إنه محصلش

- عندك حق فعلا، بس تفتكر لينا هتديها رقمها ليه

- أكيد علشان تساعدها بحاجة

- تفتكر؟

- وليه لأ؟ إنتي مشوفتيش منظر لينا وهي متعاطفة معاها إزاي

- أكيد شوفت ده هي أكتر واحدة مني أنا إللي بنت زيهم كانت بتساعدها في الحمام.

- لمياء أرجوكي المنظر تعبني نفسيًا ياريت نقفل على الموضوع ده وننساه وإن كان في إيد لينا حاجة تساعد أحلام بيها أكيد مش هتتأخر وده إحساس جوايا بكده

عدنا إلى لينا في الريسبشن وبدا كل شئ طبيعيًا وكأن ما حدث قد ذهب أدراج الرياح وصار من الماضي، كان صمت لينا رهيبًا بعد هذه الواقعة

وكأنها كانت تقولنا لا أحد يتحدث، وقد فهمنا رسالتها.

وفي أثناء عودتنا معًا بعد انتهاء العمل تحدثت معها عما حدث:

- إنتي إيه رأيك في إللي حصل؟

- السؤال ليك إنت يا شادي، إنت إيه رأيك؟

- بصراحة مش عارف، محتار أصدق أحلام ولا مصدقهاش، الراجل ده ميتجرأش ويجيبها الفندق إلا إذا كانت هي شخصيًا إديته مجال وش وسمحتله إنه يعرض عليها عرض زي ده، ولو فعلا زي ما هي ما بتقول لسه بشرفها يبقى تحمد ربنا بجد إنها تعبت قبل ما يحصل

- أنا بقه مصدقاها

- إزاي يعني؟

- بنت زيها وعارفة، دموعها دي مكنتش دموع ألم الضرب وبس، لا، ده كانت دموع قهر و حرمان من حاجات كتير، أحلام زي الغرقانة في بحر عميق محتاجة بس إللي يمدلها إيده و ينقذها

- علشان كده إنتي إدتيها رقمك؟

- بالضبط كده

- طيب وهنعمل إيه مع منصور هنبلغ ولا إيه؟

- لو بلغنا في خطر على أحلام وممكن تتسجن لكن منصور مش هيحصله حاجه وهيخرج منها عادي، هنتستر عليها وكده كده محصلش حاجه ولا لمسها أصلا

- إنتي متعاطفة معاها قوي زيادة عن اللزوم

فجأة انفعلت بعصبية وقالت:

- هو إنت إيه مبتحسش، البنت عملت كده غصب عنها وظروفها زي الزفت، إنت إيه يا أخي مفكر نفسك إنك في إيدك العقاب والثواب وهتحكم على البشر؟

شعرت إنني صرت كالقزم أمام مارد عظيم ولم أنطق بكلمة واحدة واكتفيت بالنظر من خلال شباك سيارتها إلى الدنيا، وعندما شعرت بموقفي الذي وضعتني فيه أردفت بانفعالها وبصوت متردد

- شادي، بليز نقفل على الموضوع ده

استجبت لذلك و طوال الطريق كنا صامتين حتى الراديو والموسيقى كانت صامتة وهكذا حتى وصلت إلى المنزل. وفي الليل وبعد صلاة العشاء لم أترك مجالا للأسئلة لكي تتكاثر في عقلي فقررت أن أتصل بلمياء باعتبارها المقربة من لينا

- مساء الخير يا لمياء
- أهلا يا شادي إيه المفاجأة دي
- ازيك إيه أخبارك
- تمام بخير
- أتمنى مكونش عطلتك أو أزعجتك
- لا خالص كلمني في أي وقت

- الحقيقة كنت حابب أكلمك في موضوع كده يخص لينا بس بيني وبينك

- خير، موضوع إيه؟ لا يكون قصدك عن إللي حصل إنهرده مع البنت إللي اسمها أحلام؟

- يعني هو مش بالبظبط كده

- طيب إيه؟

- هو إنتي تعرفي أسرة لينا؟

- آه طبعًا أعرفهم ده أنا معشراهم زي ما معاشرة لينا بالضبط، بس بتسأل ليه؟

- أبدًا أصل أنا ملاحظ أن لينا عايشة لوحدها وأعرف أن والدتها متوفية بس والدها مش موجود

- آهاا فهمتك إنت تقصد إيه

- ممكن تحكيلي

- بص يا سيدي والدها اسمه الدكتور شريف كامل، دكتور كبير في أمراض القلب ومن النوع إللي بيسافر كتير مش بيستقر في مكان و والدتها ست طيبة جدًا اسمها منى إبراهيم كانت الله يرحمها صاحبة كوافير بس بسبب تعبها ومرضها اتقفل لحد ماتوفت

- هي توفت من إيه

- من سرطان الثدي

- بس أنا ملاحظ إنها بتنزعج من سيرة والدها
- آه مهو علشان حصل حوار كده أدى لقطيعة بينهم
- إيه إللي حصل؟
- بص الراجل أبوها ده على قد ما ربنا إداله من علم ومال إلا إنه كان بتاع ستات ومكنش فايق لبيته باختصار فلوسه مكنتش لأهل بيته زي ما إنت متخيل، كان كل ما يرجع الشغل أيام ماكان عايش في القاهرة يرجع بيته ميقعدش مع مراته وبنته ربع ساعة على بعض وياخد بعضه وينزل بيروح فين ومع مين معرفش، لحد ما مراته وبنته في يوم كانو بره البيت واستغل الموضوع ده وجاب واحدة قد لينا بالضبط إللي كانت في الوقت ده في أوائل العشرينات من عمرها ونام معاها في سرير مراته، طنط الله يرحمها كتمت جواها و جت على نفسها وكرامتها علشان خاطر بنتها وفضلت شايله في قلبها لحد ما الكانسر نهش في صدرها، مكنش أبوها بيسأل كتير عن مراته طول فترة مرضها يعني لو في الشهر مرة يبقى كده كتّر خيره، كان في الوقت ده مسافر بيعمل عمليات بين الكويت وقطر و أبوظبي وقعد فترة طويلة جدًا هناك، اتوفت طنط ووصله الخبر وهو في سفره مكلفش خاطره يسأل أو يجي حتى دفنة مراته وبنته الوحيدة أهملها من ساعة الوفاة لحد يومنا هذا، والشهادة لربنا لينا كانت مكافحة جدًا تعبت على نفسها واجتهدت لحد ماوصلت للي هي فيه
- طيب البيت إللي هيا فيه حاليًا

- ده اشترته من ورث طنط لينا الله يرحمها وباعت بيتهم اللي في المنيل حتى أبوها مهتمش باعت البيت إمته ولمين

- على كده ميعرفش بيت بنته فين

- ده حقيقي، بص أقولك حاجة لينا برغم كل الصعاب اللي مرت بيها وموت والدتها وخيانة أبوها ورميته ليها إلا أنها بنت جدعة وبمية راجل ومافيش زيها وصدقني أنا شخصيًا عمري مالاقيت ولا هلاقي بنت محترمة زيها، بس خلي بالك اللي قولتهولك ده ميطلعش بره خالص حرصًا على مشاعر لينا

- أكيد طبعًا ده أنا اللي كنت هقولك كده، شكرًا يا لمياء

- سلام

- سلام

إذًا فقد اتضحت الصورة كاملة بالنسبة لي، لهذا السبب تمقت والدها ولهذا السبب انفعلت علي بسبب أحلام التي ذكرتها بأشد الأوقات قسوة في حياتها، وتأكدت أن وراء هذا الجمال القمري والروح الصافية ألم لا يمكن غفرانه، واستغربت كثيرًا عن سبب عدم إفصاحها لي عن هذا الموضوع برغم أننا أصبحنا أصدقاء وأخوة، بقليل من التفكير توصلت إلى نتيجة و هو خوفها من أن أكون صورة سلبية عن شخصيتها وأتخلى عنها والظن بالسوء في سمعتها إذا ما حكت لي عن قصة والدها هذا، عذرتها الآن فقط.

وصلتني رسالة على هاتفي وعندما فتحتها وجدت لينا تقول لي فيها بالنص:

(انا آسفة يا شادي أني إنفعلت عليك بالشكل ده مكنش قصدي إني أضايقك، أنا بس البنت صعبت عليّا و إللي حصلها ضايقني جدًا، أرجوك لو زعلت حقك عليّا، أنا آسفة)

(6)

لم أحتمل الجلوس في غرفتي و ضاق صدري من البقاء في المنزل وبرغم أن اليوم كان شاقًا فقد قررت النزول والتوجه إلى كافيه بلاتوه الذي يقع على بعد خطوات قليلة من مسكني، ولا أذكر متى أو كيف قادتني قدماي إلى الكافيه لكن ما أذكره هو أن عقلي كان شاردًا بسبب ما حدث و ما سمعت، دخلت الكافيه وطلبت من النادل فنجان قهوة، المكان بطبيعة الحال لم يكن شاغرًا وهو أحد سمات المكان أن يكون خاليًا من الزبائن إلا في حالة مباريات كرة القدم المحلية والعالمية يكون المكان عكس ما هو عليه، كنت أنا وحدي في المكان فقط، ليتحول هذا المكان أيضًا إلى خلوة تمامًا كحال غرفتي الخاصة، كنت أسترجع تفاصيل ما حدث منذ بداية اليوم وحتى نهايته وأفكر أيضًا في حياة لينا وأتخيل كيف تعيش هذه الفتاة حياتها الشخصية و في أي بقعة من أصقاع الأرض يتواجد فيها والدها؟ غريب أمر هذه الدنيا، تسعدنا أيامًا وتحزننا أيامًا أخرى لتجبرنا على المضي قدمًا في منعطفاتها.

قطع هاتفي صفاء ذهني و تفكيري لأجد لينا تتصل بي، وتذكرت أنني لم أرد على رسالتها التي اعتذرت لي فيها، وعندما أجبت على اتصالها بي:

– ألو يا لينا

بصوت خافت يملؤه التعب الشديد ويكاد غارقًا في الألم

- شادي، أنا تعبانة قوي أرجوك تعلالي

بشكل هستيري

- مالك في إيه خير؟ ألو ألو لينا إنتي سمعاني؟

وضعت ثمن القهوة على الطاولة وخرجت لأركض كالمجنون إلى منزلها، وعندما وصلت ضغط على جرس الباب عدة مرات و أضرب الباب بقبضة يدي بكل قوة، ورغم صياحي عليها و كل تلك الضوضاء التي افتعلتها خارج منزلها لم يكن لحارس العقار أي تواجد سواء كان هو أو غيره، وبعد دقيقتين تذكرت أنها قد أعطتني مفتاح فيلاتها ذلك اليوم، لم أكن أتوقع أنني سألجأ إلى استخدامه بهذه السرعة، دخلت إلى المنزل وصرت أجول فيه كمن فقد عقله مناديًا عليها، بحثت في الصالون في المطبخ في الحمام المتواجد في الطابق الأرضي وحتى في الحديقة الصغيرة ولم أجد سبيلا سوى أن أصعد من السلالم إلى الطابق العلوي، كان الطابق العلوي يحتوي على حمامين و ثلاث غرف بحثت في جميعها لأجد لينا ملقاة على الأرض في غرفتها الخاصة بجانب سريرها ملقاة على بطنها لا تحرك ساكنًا وكانت غائبة عن الوعي، اقتربت منها على الأرض وحملتها لأضعها على السرير و أثناء قيام بهذا الأمر وجدت كتاب مذكرات كان ملقى تحتها على الأرض وكأنها كانت تحتضن هذا الكتاب، أمسكت بيدها محاولا أن أجد أي استجابة ولو بسيطة لها ولكن دون جدوى،

اتصلت بأحد العيادات المجاورة وطلبت سرعة حضور ممرض أو ممرضة لنجدتها، كانت مشاعري في تلك اللحظة غريبة ولا توصف ولم أشعر بهذه المشاعر منذ وفاة والدي، إلا أن الأمر الآن يبدو مختلفًا، أنه ذلك الرابط بيني وبينها هو السبب في ما أنا عليه الآن من خوف وقلق عليها.

وصلت الطبيبة إلينا وبدأت في الكشف عليها وبعد أن انتهت من آداء عملها وإعطائها الحقن والأدوية اللازمة قالت:

- جالها انخفاض في الضغط أنا إديتها أدوية هتساعد الضغط إنه ينتظم، سيبها تنام و إن شاء الله هتبقى تمام
- بس حضرتك دي كانت كويسة طولة اليوم ومافيهاش حاجة
- أنا مش شايفة إن في سبب عضوي عندها، غالبًا السبب نفسي إما صدمة عصبية أو انفعال شديد أو زعل لكن غير كده هي بخير

اصطحبت تلك الطبيبة خارجًا، عقلي يدفعني إلى الخروج من المنزل وتركها حرصًا من الشبهات وعيون الناس، وقلبي يدفعني إلى ما هو عكس ذلك، لم يطاوعني قلبي على تركها وهي في تلك الحالة، لذا قررت البقاء معها لخدمتها إذا ما احتاجت شيئًا والتصرف إذا تدهورت صحتها أكثر من ذلك.

اتصلت بأمي لأطمئن عليها وقلت لها إنني برفقة أصدقاء لي في الكافيه المجاور حتى لا تقلق وطلبت منها أن لا تنتظرني وتخلد إلى النوم إذا تأخرت في المجيئ، أطفأت أنوار الغرفة جميعها وتركت الأباجورة

على يمين لينا مضاءة حتى تساعدها على النوم أكثر، لفت نظري أمر ذلك الكتاب الذي كانت لينا ملقاة على الأرض فوقه، كان مفتوحًا وقتها، تناولته وهو مفتوح على الصفحة التي كانت تقرأها لينا وافترشت الأرض مستندًا بظهري على الحائط و مواجهًا السرير، أخذت أقلب سريعًا صفحات ذلك الكتاب واستنتجت أن هذا الكتاب هو مذكرات منى إبراهيم والدة لينا، قرأت مقتطفات من المذكرات، كان كل ما كتب هو عبارة عن شكوى من هجر زوجها الدكتور والد لينا زوجته وخيانتها مع فتيات وسيدات أخرى من مختلف الأعمار، ومدى الإهانات وجرح المشاعر التي طالتها من زوجها وصبرها من أجل ابنتها وسمعتها وعن رحلتها مع المرض، وحين وصلت إلى الصفحة التي كانت مفتوحة أول مرة كتبت السيدة منى ما هو أشبه برسالة إلى ابنتها لينا

(بتمنى إنك تحسي بأحاسيس عمرك ما حستيها قبل كده، وبتمنى من ربنا إنك تقابلي ناس ولاد حلال في حياتك مهما كانوا مختلفين عنك، وبدعي ربنا إن حياتك تبقى أحسن من حياتي وتبقي حاجة تفتخري بعدها بنفسك، هتقعي في يوم من الأيام بس هتقفي على رجليكي وهتكملي حياتك، ومهما حصل، حبي على قد ما تقدري وما تبخليش على قلبك، واكرهي قد ما تكرهي، ولومي القدر إذا جارت عليكي الدنيا في يوم من الأيام و اصبري، لكن لما هتوصلي للنهاية لازم تسامحي من قلبك)

أغلقت الكتاب بعدها ووضعته بجانب لينا على المنضدة ورأيت بعدها مقدار الألم الذي تحتجزه داخلها، تحاول الهرب والنسيان لكن مهما حاولت فهذا النسيان مؤقت ومع أول موقف مشابه لتفاصيل ما عاشته تتذكر كل شئ.

خيم الظلام مع ستار الليل، كل دقيقة تمر لا تفارق عيني لينا أبدًا حتى تأقلم نظري على هذا المشهد، كانت كالجميلة النائمة، شعرها منسدل على الوسادة مثل شلال من الماء.

شفتاها الصغيرتان مضمومتان في خط مستقيم وبقليل من التركيز هناك حركة طفيفة للغاية عند نهاية حنجرتها، إنها تتنفس وبشكل طبيعي، ترقد ورأسها عل الوسادة وكأنها تنظر إلى السقف لكنها في الحقيقة لا تنظر إلى أي شئ فقد كانت في عالم آخر دخلت إليه من بوابة الذكريات، رموش عينيها مثل الزهور، ترقد في ثبات تام لا يطرف لها رمش، نومها كان في غاية النقاء والكمال.

كانت غرفة لينا مصممة على أعلى مستوى ويعكس ذوقها الخاص، فحتى غرفتها كانت تبدو كغرف فندق الهيلتون تمامًا، غرفة خمس نجوم، تلفاز lcd مع نظام صوت خارجي ستيريو حديث، قليل من الديكورات المنتشرة في أماكن محددة في الغرفة، خزانة خاصة بالملابس وأخرى للاحذية، ومنضدة وتسريحة شعر تحتضنها مرآة جميلة، و أحدث صيحات المكياج والتجميل والعطور زينت تلك التسريحة مع

كرسي ذي بطانة مريحة للغاية تجلس عليها حتى تواجه مرآتها لتتجمل، كانت كل تلك التفاصيل مناسبة لغرفة فتاة.

أما السرير فكان فرديًا بإطار خشبي أبيض اللون مع خطوط مذهبة، الأغطية كانت ناصعة البياض وإلى جانب كل هذا يوجد الهاتف اللاسلكي على مقربة من السرير. أما عن الصور المعلقة على الحائط فقد كانت جميعها للينا و والدتها، كانت نسخة طبق الأصل من والدتها، آية في الجمال كما يقال، ولا أثر لصورة والدها الدكتور شريف كامل.

وجدت نفسي أني قد تقمصت دور المتطفل له تواجد ولكنه غير مرئي، أنظر وأستمع و أشعر وأحفظ تفاصيل الغرفة حتى رائحة العطور قد ألفها أنفي، أجلس على الأرض ولا أحرك ساكنًا وأراقبها في صمت.

شعرت وقتها بشعورها تجاه ماضيها، وكأنني ولينا اندمجنا لنصبح كيانًا واحدًا، على الأقل كان هذا الشعور من طرفي أنا فقط، شعرت حقًا بالاشفاق عليها، واحترمتها كثيرًا لما بدر منها تجاه أحلام ومن قبلها معي أنا حينما تبنتني للعمل معها، ولابد وكان قالت الطبيبة أن السبب النفسي هو مقارنة ما حدث للفتاة أحلام بقصة والدها مع والدتها وإن كان هناك بعض الفروق بين القصتين إلا أن القسوة كانت عاملا مشتركًا بينهما وأساسًا للمقارنة.

رضيت بهذا الاستنتاج لما فيه من منطق وأمضيت ساعات على هذا الحال حتى غالبني النعاس أخيرًا رغم مقاومتي القوية للنوم، بدأ مشهد

نوم لينا على سريرها يضمحل شيئًا فشيئًا حتى أغمضت عيناي تلقائيًا و بدأ إدراكي لما حولي في الزوال تدريجيًا، نمت نومًا عميقًا ولكن بدون أي حلم على الإطلاق، كان نومًا يحتاجه الجسد دون العقل.

وفجأة وقبل الفجر بدقائق

- شادي.. شادي

صوت ملائكي هادئ داعب روحي بمجرد الاستماع إليه، كالسحر الذي يأتي إليك ليسخرك الى هدف ما موجه، فتحت عيني لأرى لينا، جالسة على الأرض بالقرب مني، أخذت دقائق حتى أدرك الأمر، أبحر بنظري بين لينا وسريرها، ولم أصدق.

دققت في وجهها جيدًا ورأيت أن كل مظاهر التعب والإعياء قد زال أخيرًا بعكس ما رأيته حينما كانت ملقاة على الأرض

- لينا؟ إنتي إيه إللي قوّمك من سريرك إنتي كويسة؟

- بفضلك آه الحمد لله

- فضلي إيه بس يابنتي إنتي خضتيني عليكي، لو كنتي تشوفي منظرك وإنتي واقعة

ابتسمت

- أنا مش عارفة أقولك إيه بجد، أنا مصدقتش عيني لما قومت وشوفتك قدامي على الأرض وكنت متأكدة إنك هتيجي أول ما أكلمك

- أنا معمتلش حاجة، الحمد لله إنك بخير

أذن الفجر ونظرت إلى ساعتي وقلت:

أنا لازم أقوم دلوقتي، يادوب أقدر أروح وأجهز نفسي علشان الشغل

- طيب أنا هعدي عليك نروح سوا مع بعض

- لا إنتي خليكي متجيش إنهرده، ارتاحي كده ولا كده أنا ولمياء وطه موجودون وهنمشي الدنيا عادي، وعامة يا ستي لو قلقانه هبقى أتابعك بالتيليفون

- طيب ماتخليك على الأقل نفطر سوا مع بعض

- مرة تانية إن شاء الله أنا سايب ماما لوحدها ومتعود أفطر معاها علشان متقلقش بس

- يااه، حبيبتي، زمانها قاعدة وقلقانه كل ده

- لا خالص، أنا فهمتها إني هسهر مع ناس صحابي وقلتلها تنام متستناش إما أرجع

نهضت من مكاني و نزلت من الطابق العلوي إلى الأرضي متجهًا نحو الباب وكانت لينا تصحبني أثناء ذلك، وعندما فتحت لي الباب وقبل أن أخرج استوقفتني قائلة:

- شادي

- ايوه يا لينا أؤمريني

- ربنا يخليك ليا

ابتسمت لابتسامها وأردفت قائلا:

- ألف حمد لله على سلامتك يا قمر

تركتها وتوجهت إلى منزلي، فتحت الباب بهدوء، واطمأنيت على أمي لأجدها نائمة كما طلبت منها، وفي غرفتي أرحت جسدي المنهك على السرير وأخذت استرجع ذلك المنظر المرعب ومدى قلقي وخوفي عليها، أتذكر إن والدي قال لي ذات مرة قبل وفاته بفترة وجيزة

- إحنا اتخلقنا علشان نعيش ونحب بعض، نقلق ونخاف على بعض، والموت في النهاية هو إللي بيفرقنا عن بعض، هي دي الطريقة الوحيدة علشان نعرف غلاوة و معزة كل واحد عزيز في حياتنا.

قالها لي رغبة منه لكي يخفف وقع خبر وفاته و حزني عليه، الآن فقط وللمرة الثانية، أدرك المعنى الحقيقي لحكمة المرحوم أبي.

(7)

كـان يومًـا عاديًـا في فنـدق هيلتـون رمـسيس، لم يكـن ضـغط العمـل بالكثير، لكن الأجواء كانت مملة للغاية بدون لينا، لم أر الأستاذ حسن سوى مرة واحدة وكان ذلك بغرض الاطمئنان على سير العمـل مـن خـلال سؤالنا، كان كالضائع في أرض جرداء دون ساعده الأيمن، كان أغلب الوقت في مكتبه.

أتى إليّ إبراهيم في وقت كان الريسبـشن خاليًـا مـن حضور النـزلاء، صامتًا بدون أن يرن له هاتف، ألقى التحية على طه ولمياء وقال:

- إيه يا عم جاي إنهرده لوحدك ليه؟
- أبدًا عادي يعني
- العادي إن إنت ولينا دايمًا بتيجو مع بعض، اللـي مـش عـادي بقى إنك تيجي لوحدك وهي متجيش، احكيلي كده بيني وبينك، في إيه؟

كان من إحدى طباع إبراهيم اللـؤم في مثـل هـذه الأمـور بحيـث تبـدو الألغاز وخبايا الأمور كالكتاب المفتوح أمامه، أجبته:

- أبدًا يا أبو خليل، اتصلت بيا الصبح وقالتلي إنها تعبانة ومـش هتقدر تيجي إنهرده دي كل الحكاية
- نفسي أصدقك
- وهو إنت شايفني بلف وادور عليك

- يابني لينا لما بيبقى فيها مهما ميكون فيها عمرها ما تسيب الشغل او ماتجيش لسبب أو لغيره، الفندق ده والريسبشن إللي إنت فيه ده بالذات هو كل حياتها، ده أنا بحكم شغلي معاها طول السنين إللي فاتت كفرد أمن هنا أعرف لينا تعمل إيه ومتعملش إيه، وده إللي يخليني أقولك إني مش مصدقك.

تدخلت لمياء في الحوار وقالت:

- بصراحة أنا معاك يا هيما في إللي بتقوله ده مش من طبع لينا، الغريبة إنها متصلتش بيا كالعادة ولا بعتتلي رسالة حتى

إبراهيم قائلا:

- مهو ده إللي بقوله لصاحبنا ومش قادر يقتنع إنت مخبي حاجة يا شادي؟

- وهخبي ليه يا جماعة، بصو أنا قلت إللي عندي وإللي حصل إنها قالتلي الصبح مش هقدر آجي، وأنا أحرجت إني أسألها عن السبب لكن المؤكد والطبيعي بقى إنها أكيد ولازم تكون اتصلت بالأستاذ حسن وقايلاله إنها مش هتيجي ومؤكد عارف السبب، فالي حابب منكم وعايز يعرف مكتب الأستاذ حسن ميتوهش.

رمقني إبراهيم بنظرة ساخرة مبتسمًا وهو يعلم تمامًا أنني أخفي شيئًا خيال عدم مجيئ لينا إلى العمل اليوم، وأنتذني نداء أحد زملائه من أفراد الأمن له ليتركني أخيرًا من جلسة الاستواجب تلك، وبقيت لمياء معي

وهي تحاول مرارًا وتكرارًا أن تعرف سبب غياب لينا

- هو إنتو اتصلتوا ببعض إمبارح؟
- لا
- طيب محاولتش تعرف مجتش ليه؟
- لمياء ارحميني يا أمي شوية إنتي بنت زيها وأكيد هتقولك اتصلي بيها وانتهينا

في حقيقة الأمر، لم أرغب أن أبوح بشئ مما حدث للينا وعن بياتي في فيلتها، كنت خائفًا على سمعتها قبل سمعتي الشخصية، كنت حريصًا فعلا على أن تبقى صورتها قوية أمام زملائها و مديرها في الفندق؛ كان غيابها مؤثرًا فعلا، فقد كانت تملأ الأجواء بالحيوية والنشاط وتترك في نفوس من حولها آثارًا طيبة.

لا أتذكر كثيرًا من ذلك اليوم الرتيب، لكن أتذكر أنه في نهاية اليوم فاجئتني لمياء بمكالمة من لينا قالت لي فيها ناقلة عنها:

- استنوني بره الفندق هاجي آخدكم بعربيتي

كان الأمر بالنسبة للمياء كالغيث الذي أوله كقطرة فهي تعلم أنها سوف تشبع غرورها وتعرف التفاصيل منها؛ أما بالنسبة لي فقد كنت متشوقًا للاطمئنان على صحة لينا وأراها تمشي وتجوب الدنيا كلها نشاطًا، انتهينا من العمل و انتظرنا أنا ولمياء خارجًا كما طلبت منا لينا، وعندما أتت بسياراتها وركبنا انهالت عليها لمياء بالأسئلة والاستفسارات قبل أن

تسأل لينا عن حالنا في العمل أو تلقي السلام حتى

- إنتي كنتي فين و متصلتيش بيا ليه؟

- إيه يابنتي؟ إيه؟ ؟؟ هتفضلي دبش لحد إمته، ده السلام لله زي ما بيوقلو..

لمياء ساخرة:

- طيب يا ستي أهلا يا لينا أخبارك إيه إنهرده يا حبيبتي؟

- هتفضلي هبلة طول عمرك

نظرت إليّ من خلال المرآة وقالت:

- إزيك يا شادي؟ أخبارك إيه إنهرده؟

- السؤال موجه ليكي إنتي، إنتي إللي إيه أخبارك إنهرده؟

كان الحوار بيننا أمام لمياء كالرسائل المشفرة لذا فقد فهمت لينا قصدي تمامًا لتجيبني مبتسمة:

- أنا بخير الحمد لله، متقلقش عليّا أنا تمام

أثلج هذا الرد قلبي، سألتها:

- هوّ إحنا رايحين فين؟

- هتشوفوا دلوقتي أنا عملالكم مفاجأة انتو الاتنين

لمياء مستغربة:

- مفاجأة؟ مفاجأة إيه؟

- متتصربعيش كده زي عوايدك، اهدي على نفسك وقولي أنا

هديت.

وجدنا أنفسنا في منطقة الزمالك وتحديدًا أمام مركب **blue nile**، كنت أنا ولمياء مستغربين من سبب تواجدنا في هذا المكان، وأثناء دخولنا المركب حاولنا سؤال لينا لكنها أبت أن تجيب حتى دخلنا إلى مطعم دار القمر ونجلس في طاولة محجوزة باسمها و مخصصة لثلاثة أفراد فقط.

قلت لها:

- في إيه يا لينا؟ إنتي جيبتينا هنا ليه؟

- بصراحة كده أنا جايباكم إنتو الاتنين بالذات لسببين اتنين بس أولا بمناسبة الصلحة إللي بينكم إنتو الاتنين مع بعض ثانيًا بمناسبة إني أخيرًا لقيت صديق وأخ أستند عليه وهو إنت يا شادي، وغير كده أصلا، حابه إني أغير جو وقلت أكيد مش قضي الوقت لوحدي فضربت عصفورين بحجر

لمياء قائلا:

- إنتي بجد أحيانا بتعملي تصرفات محدش يفكر إنه يعملها أصلا الموضوع مش مستاهل التكاليف دي كلها

ردت عليها لينا وهي تنظر إليّ:

- علشان معنديش أغلى منكم أعمل كده.

كانت الموسيقى تنبعث من المكان بشكل غير منقطع، مغني ومغنية وعازف أورج من نوع ياماها الحديث يؤدون كل ألوان الموسيقى العربية،

خاصة اللبنانية، كان المكان مكتظًا ورغم ذلك فقد كان الرواد من الرجال والنساء يجيئون ويذهبون كالفراشات بين الهمسات والرقص على أنغام الموسيقى والنجوم.

كنت أراقب الناس وهم يتناولون طعامهم ويشربون ما وضع أمامهم من مشروبات مختلفة أو حتى عندما تنهض النساء والفتيات من مختلف الأعمار ويبدؤن في الرقص وسط تصفيق حار من الحضور.

وأثناء كل هذا وذاك فقد كانت الأضواء رائعة بما يكفي لصنع شجرة عيد ميلاد هائلة في المكان، كانت كل طاولة أشبه بالموائد حتى طاولتنا الخاصة، كانت مزدانة بالمشهيات والمقبلات إلى جوار السلطات الزاهية، والفطائر والمناقيش اللبنانية التي حولتها نار الفرن إلى لون مابين البني والأبيض برائحة ساحرة، ناهيك عن ذكر المشويات الشهية التي أعدها الشيف ذي الأصول اللبنانية بمهارة تختلف عن أداء أي منافس مصري له.

شيئًا فشيئًا أخذ الوقت في المضي قدمًا حتى الساعة الثامنة مساءً. ولم تهدأ القاعة ولو ثانية واحدة، كنت أرى من خلال نوافذ المركب الكبيرة النيل وقد اتشح بسواد الليل وأرى مزيدًا من السيارات والمتوافدين إلى المركب، كانت الطلبات تنهال على الحضور بشكل هستيري من شرب و طعام وخدمات أخرى مختلفة، بل وحتى أغاني خاصة تطلب من المطربين الشابين لتوجه إلى زوجه في عيد زواجه، أو لفتاة شابة في مقتبل عمرها يحتفل بها خطيبها ويعبر عن مدى حبها لها.

كان الجو قد امتلأ بالثرثرة والضحكات العالية حتى اعتاد سمعي على ضحكات النساء والرجال كإدمان المخدرات، وارى تعارفات عارضة تنسى لتوها في نفس الدقيقة، ومقابلات حميمية بين أصدقاء وغرباء مع بعضهم البعض ربما لم يروا بعضهم منذ وقت طويل أو ربما لا يعرفوا بعضهم البعض من الأساس.

أخيرًا هدأت الموسيقى لتتوقف تمامًا لترتاح حنجرة المغنيان، ولا أذكر اسم الشاب والفتاة لكن أذكر ان اصواتهما كانت رائعة في تأديتهما لأي أغنية، تبدأ جماعات في الرحيل لتحل مكانها جماعات أخرى، وفي كل جماعة أرى فتيات لا تقل أي ذرة من الجمال عن فتيات الجماعات الأخرى التي رحلت، ليصبح في لحظة فرح مجنون عبر بحر الوجوه تحت الأضواء المتغيرة أبدًا.

كانت لينا و لمياء مندمجتين مع الأجواء نتبادل ثلاثتنا الأحاديث الجانبية، لكن في أغلب الوقت فقد كنا نستمتع بوقتنا، كانت لينا ترقص وتتمايل في جلستنا بشكل أنيق لا يلحظه أي ناظر محيط سوى القريب منها فقط، أما لمياء فقط كانت تفعل الشئ نفسه إلا أن نظراتها الأنثوية الحادة كانت تأخذ طريقها إلى ملابس النساء والفتيات، ومجوهراتهن، وطريقة جلستهن، بل وحتى أجسامهن وتضاريسها، كانت مبتسمة وسعيدة كونها في مثل هذا المكان الذي لا أعلم إن كانت قد ارتادته أو أي مكان شبيه به من قبل لكني قد أحسست بغيرتها تجاه نظرائها من

النساء والفتيات رغم امتلاكها لكل مقومات الجمال.

في وقت من الأوقات وأثناء جلستنا وأحاديثنا فوجئنا برجل وامرأة قد أتيا إلي طاولتنا، جمال عبيد وهو رجل اربعيني قد يبدو من منظره العام أنه متصابي إلى حد ما، يدير مطعم gu bar وهو مكان يمتاز بالمعنى الحقيقي للحياة الليلية، أما المرأة فقد كانت في التاسعة والعشرين من عمرها تقريبًا وربما أكبر بعام لست متاكدًا فقد كانت من النوع الصعب توقع عمرها الحقيقي، اسمها سحر وهي راقصة شرقية، عملها كراقصة بين مركب blue nile ومركب maxim المجاور، كانا على معرفة قوية بلينا، وحينما اقتربا كان لقائهما لها بترحاب لم أر مثله مثيل، وبدا لي أن لمياء تعرفهما أيضًا، أخذت سحر لينا بالأحضان والقبلات قائلة:

- إزيك يا قمر واحشاني جدًا إيه الصدف الجميلة دي؟

جمال عبيد مازحًا:

- على فكرة يا أستاذة لينا في حق عرب ده لا اتصال ولا حتى أي وسيلة تعبرينا فيها

ردت لينا قائلة:

- معلش بقه مشاغل أنتم عارفين الفندق وشغله اللي مش بيخلص أبدًا، اتفضلوا واقفين ليه، أعرفكم الأول شادي صاحبنا جديد معانا في الفندق وطبعًا إنتو عارفين لمياء

صافحني جمال عبيد بيده مرحبًا بي أما سحر فقد اكتفت بأن ترمقني

بنظراتها الساحرة مبتسمة في سكون تام لا أكثر ولا أقل، حاولت سحر أن تفتح حوارًا مع لمياء إلا أن لمياء لم تستلطفها

- ماشاء الله عليكي يا ليمو، خسستي جامد عن آخر مرة شوفتك فيها يا مزة عيني عليكي باردة

ابتسمت لها بملامح أكثر سخرية وقالت:

- أكيد مش هاجي جمبك حاجة سبنالك الحلاوة كلها

لم تعلق عليها سحر وكأنها فهمت ما ترمي إليه لمياء ببرود تام، وعلى إية حال فقد استنتجت من خلال ما رأيت أن لمياء تصبح أكثر غيرة وغيظًا حينما ترى جسم فتاة أفضل من جسمها أو تمتلك ميزة من مميزات الجاذبية الأنثوية لا تمتلكها لمياء، سألني جمال عبيد

- البشمهندس بيشتغل إيه في الهيلتون؟

أجبته:

- أنا موظف استقبال في الريسبشن مع لينا ولمياء

- ومرتاح في الشغل؟

- أه الحمد لله

سحر بنفس طريقة مزاحها مع لمياء قائلة:

- مع أن شكلك مزبش واضح إنك قافل على نفسك زيادة عن اللزوم.

- ....؟؟؟؟

- لا بلاش تبصلي باستغراب أنا بعرف أقرأ الناس كويس

تدخلت لينا لتقطع عليها المسافة:

- سحر، بلاش شادي بالذات، ده تبعي ويخصني وملوش في الجو بتاعك ده خالص

وسواء قبلت بمعرفة جمال وسحر أو لم أقبل، فقد شعرت أنه من الضروري أن أصاحبهما بحكم أن المهنة بها من كنوز العلاقات الكثير، وإلا لبدأت في الانكماش والانعزال وترك الانطباعات السلبية عني.

أصبحنا الآن خمسة وتبادلنا الأحاديث عن مختلف الأمور، لكن أبرز ما كان في الحديث هو عن الاحتفالات التي كانت تقيمها لينا، فسألها جمال قائلا:

- صحيح إيه أخبار حفلاتك؟ مش هتعملي حفلة قريب؟

- مش لما يكون في مناسبة الأول؟

- بس أوعديني أن تكون الحفلة عندي في البار

- هتصل بيك، عامة أنا حابة الحفلة الجاية يكون في اختلاف وتغيير

ثم وجه كلامه إلي وأردف:

- والأستاذ شادي بقى ليه في جو الحفلات، و ال night life ولا إيه نظامه؟

بكل جرأة اجبته:

- طالما الحفلة تخص لينا ليه لا؟

- عظيم عظيم

سحر وبصوت ناعم يملؤه الدلع:

- خلاص، تعالى وليك عليّا أرقصلك إنت مخصوص بس

لم تشترك لمياء في أي من أحاديثنا هذه لكنها اختارت أن تفتح حوارًا يخص سحر بشكل غير مباشر، ليبدو الجو مشحونًا بكيد وغيرة النساء، ويكون الحوار النسائي ثلاثيًا بين لينا ولمياء وسحر، بينما بدا جمال عبيد ذلك الرجل المتصابي مستمتعًا جدًا بما يسمع من هذا الحديث النسائي، قالت لمياء بشكل أكثر سخرية مما سبق:

- أنا مستغربة بصراحة يا سحر إنتي مستحملة جو المنافسة في شغلانتك دي إزاي؟

- ليه يعني؟ عادي

- يعني، شايفة إن السوق كل يوم فيه جديد، والمواصفات كل مدى بتحلى في عيون الناس وإنهرده إنتي حلوة بكره إنتي منسيه

- وهو كل من لبست بدلة رقاصة بقت رقاصة

- الله ينور عليكي يا سحر أدي إنتي قولتيها

- قصدك إيه؟

- قصدي يا حبيبتي خدي بالك شوية، أي رقاصة لو خزنت بس حته من جسمها ممكن تاكل الجو منك خاصة إن بقت بدل الرقص اليومين

دول بتبين حاجات في عيون الرجاله مش فيكي

- فشر، يبقى إنتي لسه متعرفنيش، ما تتكلمي يا لينا

فهمت لينا ما ترمي إليه صديقتها لمياء فأجابت سحر وهي ترمق لمياء بنظرة وكأنها تطلب من لمياء أن تتوقف

- أنا شايفة أن لكل واحدة في مهنتك ليها أمكانيتها وليها جمهورها ومش شايفه إن فيكي حاجة غلط، جسمك مافيهوش غلطة، وكفاية إنك بتتطلبي في أفخم الفنادق والمراكب السياحية، هي بس لمياء بتهزر معاكي شوية متقصدش حاجة

كنت أشعر بهزة قدم لمياء وعصبيتها من تحت الطاولة، كانت تجز على أسنانها وتبتسم لكن ملامحها كانت تفضحها دائمًا، يبدو أن هناك تاريخًا غامضًا بين الاثنتين، مجددًا تحاول سحر أن تتودد إليّ، إلا أن هذه المرة بدا تأثير لمياء على وجهها جليًا و واضحًا بحيث كنت أستطيع أن أرى الضيق والغضب من خلال عينيها، قالت:

- وأنت يا شادي إيه رأيك؟

حاولت الهرب منها:

- معلش أعزورني أنا مليش في الحوارات دي، أنا هستأذنكم دقايق وهرجعلكم تاني.

ضاق صدري وشعرت أنه أطبق علي، ولم أحتمل هذا الجدل اللانهائي، تركتهم وخرجت من المركب لأقف على طرف الجسر الذي

يربط المركب بالشارع المواجه له، تنفست الصعداء، ولم أصدق أنني هربت أخيرًا من هذا الاشتباك المنيف الصاخب، كان صوت ارتطام مياه النيل بالمركب كالأفيون المخدر لأعصابي، و هناك عند الطرف الآخر من الجسر، لا بد ان همساتنا في الأعلى قد ساهمت بنصيبها من الأسرار أمام الناس لأرى نفسي، كنت في الطرف الآخر أيضًا، في الداخل و الخارج، الداخل ينساق وراء نشوة الحياة، أما الخارج فقد سيطر عليه النفور من تلون الحياة واختلاف أوجه البشر، كنت أنظر إلى نفسي بتناقض تام كما أنظر إلى نفسي في المرآة.

أفقت من شرودي وهلوستي، وعدت إليهم مرة أخرى، هذه المرة هدأت الأجواء المشتعلة، كانت لينا تضحك مع جمال عبيد، ولمياء تتبادل الأحاديث الودية مع سحر وكأن ما كان لم يحدث بينهم، سبحان مغير الأحوال، حتى أنهم كانوا يلتقطون الصور بهاتف لينا النقال، وحين جلست مكاني قالت لينا في بهجة:

- شادي تعالى نتصور سوا مع بعض

كنت أجلس سابقًا بجانب لمياء بينما كانت جلسة جمال وسحر جعلت لينا تتوسطهما أول مرة، فتبادلت مكان جلوسي مع سحر لأجلس بجوارها، التفت زراعها بزراعي لنبدو كالمتزوجين حديثًا، واقتربت مني بما يكفي لأشعر بدفئها، حتى شعرت بروحها تعانق روحي ألفة ومودة، والتقطت الصورة، كانت تلك الصورة هي الأولى التي جمعتني بها، ومن

ثم أخذت تلتقط لنفسها صور السيلفي.

أخذت ضحكاتنا تعلو وتعلو، وللمرة الأولى أشعر بأنني قد تحررت أخيرًا من قيود السجن الذي كنت أعيش فيه، شعور مختلف حينما تجد نفسك وسط أشخاص كهؤلاء، على الرغم من اختلافهم عنك، يشعرونك بالسعادة، تشعر بصدق قلوبهم، لا تجد طريقًا للهم فيهم أو بينهم، أياديهم تمتد إليك رغبة في الصداقة، ترغب في أن تحاك ذكرياتك معهم، إن كنت وحيدًا، ستدرك جيدًا ما قد تغير بداخلك.

انتهت حفلتنا الصغيرة أخيرًا وسط وعود متكررة بأن نلتقي معًا مرة أخرى، رحلنا أنا ولينا ولمياء سويًا لنقلّ لمياء إلى بيتها في الدقي ومن ثم نذهب سويًا إلى بيوتنا كما تعودنا دائمًا، أرادت لينا أن تطمئن على مقدار سعادتي بما صنعت هي من بهجة فسألتني:

- إيه رأيك في القعدة دي؟

- بصراحة كانت جميلة جدًا بقالي زمان فعلا متبسطتش بالشكل ده.. بس صحيح... هي مالها لمياء قلبت أول ما سحر جت وقعدت معانا ضحكت:

- هي لمياء كده دبش، أقولك يا سيدي، سحر دي بنتيجي ترقص في الأفراح عندنا في الفندق، لما حد بيطلبها بتيجي مبتتأخرش بصراحة، لمياء مشكلتها حاجة إنها مفكرة نفسها البنت الجميلة الوحيدة في العالم كله و إنها مرنما ما لبست وغيرت في لون شعرها او استايلها إن الرجالة

مش هيبصوا غير ليها وبس علشان كده تلاقيها دايمًا بتحاول تتجمل قدام النزلاء في الريسبشن، لفت نظر يعني، لما جت سحر أول مرة واتعرفت عليها من يجي سنة ونص تقريبًا مقولكش على الحريقة النفسية إللي كانت فيها لمياء، طبيعي إن رقاصة تلبس بدلة رقص وتبين حتت من جسمها زي ما إنت فاهم وعارف، لما لقت الاهتمام ده بيها قبل وبعد شغلها بقت مش طايقاها خالص، من الآخر لمياء شكلها حلو مش وحش خالص كبنت عندها إمكانيات عالية جدًا بس هي حتة الغيرة والدبش في الكلام إللي جايباها ورا. بس قولي صحيح إنت ليه كنت متغير مع سحر؟ لما جت تكلمك إنت سبتنا وقمت ومشيت رحت فين؟

- بصراحة يا لينا مليش في الحوارات دي يعني الغيرة الحريمي والأمور دي وحسيت صدري قفل، من ناحية تانيه سحر كشخصية يمكن تكون ظريفة بس أنا أول مرة أقعد مع رقاصة بالقرب ده، كنت أشوف الرقاصات من بعيد ده لو شوفتهم.

- مممممم طيب رحت فين حضرتك بقه؟

- كنت عند بوابة المركب من بره كنت محتاج أشم شوية هوا بس.

نظرت إليّ بملامحها الصافية ليعود نظرها إلى الطريق وهي تقود سيارتها وأردفت:

- إنت إنسان متسامح من نفسك جدًا ده سبب قوي خلاك تسيبنا وتقوم لما شوفت التآتش إللي حصل بين لمياء وسحر، بس أنا عايزة أقولك

على حاجة، متقفلش على نفسك، انطلق وعيش حياتك مع الناس، اعرف الناس واعمل معاهم علاقات.

كانت تدفعني من وراء كلماتها تلك إلى حب الحياة، ومن ثم، قالت كلمات أخرى بدت لي مألوفة

- ومهما حصل، حب على قد ما تقدر ومتبخلش على قلبك، واكره قد ما تكره، ولوم القدر إذا جارت عليك الدنيا في يوم من الأيام و اصبر، لكن لما هتوصل للنهاية لازم تسامح من قلبك

لم أتصور للحظة إنها سوف تقول لي وصية أمها لها، ولكن بدا لي حينئذ أن لكل وقت في حياتها وعمرها محطة، تتوقف عندها حسب الموقف وتستحضر الذكرى لتأقلمه حسب الموقف الذي تعاصره، كانت هذه الحفلة الصغيرة هي السبب الحقيقي وراء التغيير في حياتي كلها، بعد هذه الحفلة وبسبب معرفتي بلينا وقربي من شخصها منذ البداية نسيت أنني كنت منبوذًا في حياتي الماضية.

(8)

- تعبت من الكتابة ولا لسه يا دكتور؟

ينظر الدكتور مصطفى إلى شادي وإلى نظراته، يضع القلم جانبًا ويفرك يده ويبسطها مرارًا وتكرارًا حتى يريحها قليلا، وانتهز الفرصة قائلا:

- لا لسه، قلتلك أنا مش ورايا حاجة، قاعدين لحد الليل بطوله في العيادة، الحقيقة حكايتك على قد مافيها وجع و فرح على قد ماهي غريبة، بالنسبالي على الأقل

نظر شادي إلى الدكتور مصطفى صامتًا ليردف الأخير كلامه:

- واضح أن العلاقة بينكم كانت بتطور بشكل أسرع مما كنت أنت متخيل، وبدأت تدخل معاها عالم وتشوف ناس عمرك لا شوفتهم ولا في يوم من الأيام كنت تتخيل إنك تبقى جزء من العالم ده.

- فعلا؟ إيه دليل كلامك؟

- دليلي..

يعتدل في جلسته مستكملا:

- صحيح إنت كنت مترددًا في البداية، وده كان ملحوظ بشكل كبير جدًا، أنت كان عندك الاستعداد أنك تخرج من الدنيا بتاعتك وتخش دنيا تانيه خالص بس إنت مكنتش عارف، لينا شافت ده فيك وببساطة شديدة جدًا حطتك على أول الطريق، وهنروح بعيد ليه؟ مش هي قالتلك

متقفلش على نفسك انطلق وعيش حياتك مع الناس، اعرف الناس واعمل معاهم علاقات، ده كان بالنسبالك باب علشان تدخله من أوسع أبوابه.

– طيب والإحساس المتناقض إللي حسيته يوميها؟

– مجرد صراع داخلي كان جواك، شايف انه طبيعي جدًا، إنت لاقيت نفسك في بيئة تانيه مع ناس مختلفين عنك 360 درجة، مجتمع غير مجتمعك، إنت كنت زي إللي وقف أدام مراية وشاف شخص غيره، واحد عايز يغير من حياته ويخرج من سجنه ويشوف دنيا ويعيش مع الناس، يلاقي حضن أو ظهر شخص يكون ملجأ ليه، والتاني أو بمعنى أصح صورتك إللي وقفت قصادك الناحية التانية، كان مصمم ومتمسك بحياته، زي الشجرة القديمة قدم الزمن إللي جذورها معشقة في بطن الأرض، لا عايز تعرف حد ولا تعيش مع حد، وهو ده الخوف إللي أدى إنك تشوف نفسك اتنين، مش واحد.

وجد الدكتور مصطفى شادي يستمع إليه في صمت ولا ينبس بأي كلمة، وكأنه يراجع ما مضى من الزمان، سأله:

– بس قولي، جمال عبيد وسحر، جمال ده بالذات كان إيه شكل العلاقة بينكم أول ماشوفته في المركب؟

– كل إللي أفتكره أنه كان واحدًا من ضمن رجاله كتيرة قوي نفسهم يقربوا من لينا، لما قعد جنبها حسيت أنه منهار داخليًا من شدة إعجابه بيها، مقدرش أنكر وأقول إني ارتحتله وهو ارتحلي، بس

حسيت إنه كان عايز يجرني لدنيته بأي شكل

- لما سألك وقالك ليك في ال night life؟

- بالضبط كده

- طيب وسحر؟ من كلامك عنها واضح أنها كانت بتحاول تتودد ليك.

- خفت بصراحة

- علشان هي بتشتغل رقاصة؟

- يمكن، بس لان عمري ما لاقيت واحدة عندها الجرأة في أنها تتعرف على حد بالشكل ده

- طيب ما لينا عملت كده معاك، وعرضت عليك إنكم تكونوا أصحاب وإنت قبلت، أنا شايف إنه مافيش فرق بين الاتنين سوى بعض الاختلافات الشخصية بين الاتنين.

صمت شادي عاجزًا عن الكلام ليستطرد الدكتور مصطفى قائلا:

- مفكرتش ليه لينا قالتلك كلامها ليك في العربية وإنتم مروحين؟ لأنها هي نفسها شافت التناقض والصراع إللي جواك بعنيها بس يمكن محبتش تقولك صراحة، حب الناس واعمل معاهم علاقات، كلامها كان واضح جدًا ليك ويحمل معاني كتيرة جدًا، إنت بس مكنتش واخد بالك.

بدأت علامات الانفعال تظهر على وجه شادي ويقول بعصبية مستترة وراء هدوئه:

- إنت شايف إني غلطان؟

- شايف إنك استسلمت للواقع في الآخر، بدليل إنك قولتلي، إن كلامها ليك والحفلة الصغيرة إللي جمعتكم ببعض كانت السبب في تغيير حياتك.

بدأت الثورة في داخله تهدأ وقال:

- عندك حق، أنا فعلا استسلمت

- طيب، بما لينا صالحت لياء بيك، حسيت إن من تصرفها ده هدف؟ ، أقصد، بغض النظر إنك كنت تخصها، هل كانت بتقربكم ببعض؟

- يمكن، أحيانًا كنت بحس لياء بتقرب وأحيانًا كنت بحسها بتبعد، لياء كانت جريئة زيادة عن اللزوم، غيورة وعندها غرور، عديمة صبر، فظة في طباعها وعنيفة جدًا، رغم إن إللي يشوفها يقول غير كده، ويمكن ده سبب عدم ارتياحي معاها من البداية.

- بس إنتو اتصالحتم و واضح إن كان في بادرة أمل بينكم

- ده صحيح، بس في نفس الوقت مكنش عندي جرأة إني أخش في علاقة عاطفية تانيه، مش بعد علاقتي بخطيبتي من سنين.

- يعني كمان على المستوى العاطفي كنت قافل على قلبك، تمام، تمام، إنت كان عندك أيامها كام سنة؟

- 28 سنة

- محاولتش تحب بعد تجربة مع خطيبتك الأولى ليه؟

صمت مجددًا، ومع صمته هذا يصمت الدكتور مصطفى انتظارًا لإجابته على سؤاله

- خفت إني قلبي يداس عليه ومعاه مشاعري وإحساسي، حسيت إني لو حبيت بجد وبإخلاص، هخسر، وساعتها هخسر نفسي كبني آدم تجردت مشاعره منه غصب، اكتشفت إني مش قد الحب، ولا عمري هكون من أهله، علشان كده، اخترت إني أقفل على قلبي وأعيش وحيدًا أشرفلي بميت ألف مرة على إني أعيش مع واحدة وأتعذب بسببها، كفاية إني أتعذبت مره، والمره دي كانت كفاية بالنسبالي.

- مع إن واحد غيرك في شغلانتك دي كان هيشوف بنات كتيرة، معقولة قلبك مشفش ولا واحدة

- واحد غيري يا دكتور مصطفى، واحد غيري، مش أنا خالص، شوفت آه، مش هنكر إني مشوفتش، بس المسألة مسألة خوف، لأن صدقني مكنتش هقدر أستحمل أخسر للمرة التانيه

- شوف أنا هقولك على حاجة بخصوص الحب، اللي واضح إنك نسيته ودفنته مع قلبك، الحب هو أنك تشعر بالسعادة التى تغمرك تجاه حد تجذبك روحك ليه وهو أن قلبك يبقى مليان سعادة ويوصفها بالتعبير والكلام، هو أنك تحس بعطف يخرج من جواك وكفاية إن ذكرياتك تبقى مع حد بتحبه اللي لما تسمع صوته تحس إنك عايز تطير وتعلى وتعلى

في سماء الحب، تلمس القمر و النجوم وساعتها السهر في ضي القمر هيبقى مصير جميل.

وجد الدكتور مصطفى مريضه يتجاوب مع كلامه الأخير شيئًا فشيئًا، علم أنه قد نجح في علاج شئ ما مكسور في قلب شادي، بخلاف مشكلته مع إدمان الخمور والاكتئاب النفسي، علم أنه قد أعاد ميتًّا مغدورًا إلى الحياة مرة أخرى.

- تعالى نرجع للماضي تاني.

(9)

كان الأستاذ حسن في مزاج جيد لم أعهده فيه مسبقًا، كان العمل يسير بشكل ممتاز وعلى ما يبدو أتى بثماره ليحصد مديرنا حصاده، لم أكن أتدخل في شؤونه كثيرًا فقد كنت أنفذ ما يطلب مني فقط، وفي أحد الأيام دعاني أنا ولينا في جلسة خاصة بعيدًا عن روتين العمل في الكازينو، كانت تلك أول مرة أدخل فيها إلى كازينو.

عرفني الأستاذ حسن إلى رجل يقال له في أرجاء المكان الريس جورج وهو رجل في نفس عمر الأستاذ حسن و نفس المظهر إلى حد ما فيما عدا رخامة الصوت والطبع الجاد الحازم طوال الوقت

- حسن

قالها الريس جورج بحفاوة وهو يصافح الأستاذ حسن

- ده الريس جورج يا شادي كبير الكازينو هنا راجل مافيش منه
- إيه يا عم حسن إنت ماتجيش إلا في المناسبات وبس
- أهو أديني جتلك أهو ياعم الريس قلت أهو نسمع شوية مازيكا ونتبسط وأشوفك وبالمرة أقضي وقت مع الشباب الحلوين دول
- بس الأستاذ معرفهوش
- ده شادي من أكفئ الموظفين عندي، جديد معانا مبقالوش فترة صغيرة

نظر إليّ من وراء نظارته وقال:

- أهلا وسهلا

و أردف بنفس الحفاوة:

- الجميلة لينا منورة الكازينو إنهرده إيه الجمال ده كله؟

- أهلا يا أستاذ جورج

- اتفضلوا يادي النور

قادنا الريس جورج إلى طاولة حيث نستمتع بالأجواء وفي نفس الوقت نكون بعيدًا عن لعب القمار والمقامرين، جلسنا و حصلنا على واجب الضيافة منه وانصرف هو لمتابعة أجواء عمله، كان الريس جورج رجلاً غامضًا، يتابع عمله بنظرات حادة وفي صمت تام، تراه للمرة الأولى فلا تفرقة عن رجال العصابات والمافيا، لكنه في الواقع كان غير ما يتركه من انطباعات الشئ الوحيد المؤكد فيه إنه كالصقر، أي سرقة أو ألاعيب خفية مصيرها الكشف، وربما عمله هذا أكسبه حدة الطباع لا أكثر.

لا أتذكر الكثير عن تفاصيل جلسة الأستاذ حسن، لكنني تأكدت في هذه اللحظة غريزيًا أنني أصبحت قريبًا من هذا الرجل بنفس درجة قرب لينا منه، كانت لينا يومها في مزاج حسن حتى أتاها صوت رنات هاتفها النقال ليتغير مزاجها كليًا، كانت ترفض المكالمات مرارًا وتكرارًا حتى استأذنت منا و تركتنا لدقائق مستسلمة لهذا المتصل المجهول المصر على مكالمتها.

وكانت تلك فرصة الأستاذ حسن للدردشة معي:

- جميلة لينا دي، فعلا بنت مجتهدة كده وشطارة ومافيش زيها، مش كده ولا إيه؟

- آه فعلا عندك حق

سألته للمرة الأولى عنها:

- هو حضرتك يا ريس تعرف لينا بقالك قد إيه؟

أجاب برضًا تام:

- من كام سنه فاتت، أنا اتشرفت بمعرفة لينا بعد تخرجها من الجامعة مباشرة، لما قابلتها عرفت أني قدام بنت طيبة المنشأ والتربية و بعد ما اتكلمت معاها لمدة ساعة ونص قلت لنفسي ليه متبنهاش مهنيًا وأفتخر بمعرفتها وأعرفها على مراتي وأولادي كمان ليه لا؟ لينا من أشطر الموظفين وأنا متأكد أنها لو استمرت على كده هيبقى ليها شأن في مجال السياحة ومركز مرموق كمان

- أنا كمان متأكد من ده

شرب الرشفة الأخيرة من فنجان قهوته وأردف:

- أنا مراقبك من ساعة ماجيت تشتغل معانا؛ لينا متبنياك لدرجة لا تتخيلها على المستوى المهني والشخصي مش عارف ليه بصراحة، إللي أعرفه ومتأكد منه إن إنت أكيد حد مميز، وأقدر أقول إن موظفيي كسبوا حد محترم زيك. وبالناسبة أقترح عليك تجهز هدية

قريب ليها لأني هرقيها رسمي يوم عيد ميلادها إللي هيكون بعد أسبوع إن شاء الله بس متقولهاش خليها مفاجأة

- أكيد طبعًا، بس هي مش النائبة لحضرتك في الترتيب الوظيفي؟

- آه ده حقيقي، بس ده كان بشكل غير رسمي، دلوقتي هيكون بشكل رسمي، ولينا تستاهل.

قطع حضور لينا نقاشنا الصغير، بدى لي حينما جلست على الكرسي أمامي أنها ليست على ما يرام، تلك المكالمة لم تكن خيرًا أبدًا، حاولت الاندماج معنا في الحديث والاستمتاع بالأجواء، راسمة على وجهها ابتسامة، لكنها كانت مصطنعة، لم تكن نابعة من القلب كما تعودت منها.

لم تتحدث لينا كثيرًا فقد كانت شاردة طوال الوقت، أما الأستاذ حسن فقد كان يتحدث معي في حين و يتابع بعينيه موقع الريس جورج، حتى عثر عليه وقام من مكانه قائلا برزانة:

- أنا هسيبكم إنتو الاتنين مع بعض شوية، إنتو جيل الشباب أما أنا فمن جيل تاني خالص، هروح أقعد شويه مع الراجل العجوز إللي اسمه جورج ده.

صافحنا ورحل ليأخذ الريس جورج من يده و يختفي عن أنظاري، نظرت إلى لينا محاولا قراءة خريطة ملامحهما المعكرة لتقاطع نظراتي قائلة:

- مافيش حاجة يا شادي

استمريت في النظر إليها وقد علمت من خلال نظرتي إليها أنني لا أصدقها، أردفت:

- أنا عارفة إنك مش هتصدقني، هقولك لما نروح ولا إيه رأيك تيجي نتعشى عندي في البيت؟

- موافق بس على شرط تحكيلي الصراحة كلها

لم تطق هي الجلوس في الكازينو أكثر من ذلك، كان تأثير تلك المكالمة التي أجهل تفاصيلها قويًا عليها، لتعبر على وجه لينا نظرة حزن غير مألوفة، حتى وصلنا إلى بيتها أخيرًا، جلسنا في الصالون، وانتظرت حتى تبدأ هي بالكلام، في البداية لم تكن تدري من أين تبدأ لكنها قالت بعد أن أخذت نفسًا عميقًا:

- كان والدي إللي بيكلمني

- والدك؟

- آه والدي، بعد سنين جاي يفتكرني دلوقتي

- مقلكيش هو فين طيب؟

- مهتمتش إني أعرف هو فين قد ما كنت مهتمية هو عايز إيه مني

بدأت علامات الضيق تظهر عليها وقلت:

- طيب اهدي بس وقوليلي هو قالك إيه؟

– عايز يعرف مكاني فين ويتقرب مني بعد ما قطع بيا طول فترة مرض ماما الله يرحمها حتى بعد وفاتها بسنين، طول السنين دي مسألش عليا غير مرة أو مرتين لا يعرف عني حاجة ولا أعرف عنه حاجة، تصدق يا شادي، حتى وهو بيكلمني سكران ومش في وعيه وسمعت صوت واحدة ست بتضحك جمبه، زي ما يكون مصمم يعذبني ويعذب ماما في قبرها

– طيب متديلة فرصة واقعدي معاه واسمعيه ولو لأخر مرة.

– عمري ماهعمل كده معاه يكفي أنه طول السنين إللي تخلى عني فيها هو كان بيعرف بشكل أو بآخر النجاحات إللي كنت بحققها في حياتي وفي شغلي وكل ده وبطولي ولوحدي

في تلك اللحظة بالذات تذكرت ما قالته لي لمياء بشأن والدها

(الراجل أبوها ده على قد ما ربنا إداله من علم ومال إلا إنه كان بتاع ستات ومكنش فايق لبيته باختصار فلوسه مكنتش لأهل بيته زي ما إنت متخيل، كان كل ما يرجع الشغل أيام ماكان عايش في القاهرة يرجع بيته ميقعدش مع مراته وبنته ربع ساعه على بعض وياخد بعضه وينزل، بيروح فين ومع مين معرفش)

(مكنش أبوها بيسأل كتير عن مراته طول فترة مرضها يعني لو في الشهر مره يبقى كده كتر خيره، اتوفت طنط ووصله الخبر وهو في سفره، مكلفش خاطره يسأل أو يجي حتى دفنة مراته وبنته الوحيدة أهملها من

ساعة الوفاة لحد يومنا هذا)

مهما هربت من الماضي يعود ليغرز مخالبه فيها فتتألم، وجدت لينا وقد غرقت عيناها بالدموع، كانت تبكي بكاء مكتومًا لتحاول أن تبدو متماسكة أمامي ولو قليلا، اقتربت منها وتناولت بيدي منديلا كان مطويًا في جيبي ومسحت دموعها من على خديها، لتنهار أخيرًا، وبشكل لا إرادي وجدت نفسي أحتضنها، كانت تلك أول مرة أحتضن فيها فتاة بهذا الشكل، وبالنسبة للينا كان قد مضى عليها زمن لم يحتضنها أحد بعد وفاة والدتها.

روت لي تفاصيل الخلاف بينها وبين والدها و كيف تخلى عن والدتها في عز مرضها حتى وفاتها، سردت كل التفاصيل التي قالتها لي لمياء وتظاهرت وقتها أنني أسمع هذا الكلام لأول مرة، الرجل لا يعلم مكان ابنته، كل ما يملكه هو رقم هاتفها وبريدها الإكتروني، لا يعلم عنها سوى القليل ولا تعلم عنه أي شئ، في أي بلد هو ومع من يعيش، هل تزوج أم مازال أعذبًا، أو بالأحرى من هي المرأة أو الفتاة التي يقضي معها ليلته كل يوم، قالت لي إنه لا يرسل أي مال لها وأنها تعيش من خلال ورث والدتها و مرتبها الشهري الذي تتقاضاه من عملها في الفندق، وكل من تربطه صلة دم بها يعيش في دنياه ولا يسأل عنها أيضًا، لذا كان قرارها هو أن تمضي قدمًا في حياتها ولا تلتفت إلى الماضي قدر الإمكان وتعيش في وسط الناس وتكون منهم وهم منها إلى ان تجد من تراه مناسبًا

ليكون قريبًا منها كوضعي أنا الآن معها، وأتذكر أنها قالت لي:

– تصدق، أحيانا لما بقعد مع نفسي وافتكر كل حاجة بعد وفاة ماما والصعاب إللي واجهتني بضحك مع نفسي وأقول هو أنا إزاي خرجت من المواقف دي كلها ولسه واقفة على رجليا؟

طلبت منها أن لا نتحدث عن الموضوع أكثر من ذلك، وأن تنساه نهائيًا وإلى الأبد برغم أن شيئًا ما بداخلي يخبرني أنني سأقابل والدها الدكتور شريف يومًا ما، صعدت إلى غرفتها في الطابق العلوي لتبدل ملابسها وانتظرتها في الصالون، وفي بيت لينا كنت أشعر بالراحة النفسية حيث كنت أحيانا أتنقل من مكان إلى آخر في فيلتها ولكن بحدود، كانت جلستي المفضلة في بيتها هي الحديقة، وحين نزلت، دخلنا سويًا إلى المطبخ وأعددنا عشاءنا، وبرغم أنني لا أملك نية الصبر لإعداد الطعام حتى ولو كان بسيطًا إلا أن ذلك تغير معها، فكنا نضحك ونتبادل الأحاديث وأمزح معها حتى تدمع ضحكًا، نعم، لقد استطعت أن أرسم على وجهها الابتسامة الراضية وأن أجعلها تنسى تفاصيل المكالمة مع والدها.

و فجأة شخص مألوف اتصل بها

– ألو أيوه مين معايا؟ أحلام إزيك ياحبيبتي عامله إيه دلوقتي؟ ؟

أحلام، كنت قد قاربت على نسيان تلك الفتاة وما حصل معها ذلك اليوم

– انا بخير الحمد لله، والله أنا مش ناسياكي خلص أنا طول

الفترة دي كنت منتظرة إنك تتصلي بيا وحتى نسيت آخد رقمك للآسف، تمام، أنا كنت متوقعة إنك هتعملي كده، أنا كلمت حد صديق ليا مدير مطعم في مركب من المراكب النيلية وهو وافق على طول، لا متقلقيش أنا ياما عملت خدمات ليه وهو ماصدق إنه يردلي خدمة صغيرة إنتي بس روحي للعنوان إللي هدهولك واسألي عن الأستاذ حسام وقوليله إنك من طرفي وهو هيتصرف بالباقي، أكيد هشوفك قريب وقريب جدًا كمان بس توعديني إنك تبعدي عن الأمور إياها إنتي فهماني طبعًا، إن شاء الله، باي

أسندت رأسها على ظهر الكرسي، أغمضت عينيها، وأخذت نفسًا عميقًا وقالت في رضا تام:

- الحمد لله رب العالمين، تصدق يا شادي، كنت منتظرة إن أحلام تتصل بيا من ساعة إللي حصلها، الحمد لله كابوس وانزاح

سألتيها:

- هي سابت شغلها في الكباريه؟

- آه سابته تاني يوم الموقف إللي حصلها راحتلهم وسابت الشغل خوفًا على نفسها ومن الراجل إللي ضربها

- وهي عامله إيه دلوقتي؟

- بتقولي تمام الحمد لله، انتظرت لما الكدمات وآثار الضرب إللي في جسمها تروح شويه علشان تقدر تتحرك، وبتدور على شغل، والحمد

لله إنها افتكرتني

- ودي هتشتغل إيه في المركب إللي بتقولي عليها؟

- جرسونه في مطعم دار القمر في **blue nile**، كنت كلمت المدير هناك من فترة عنها والراجل وافق مرديلش أي طلب بصراحة.

ذكرني موقفها هذا بحكمة قيلت لي ذات مرة إن بعض الناس يتأفف من لجوء الناس إليه لقضاء حوائجهم خاصة إذا كان ذا وجاهة أو سعة من المال ولايدري أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، وأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه فلئن تقضي لأخيك حاجة كأن تعلمه أو ترشده أو تحمله أو تقرضه أو تشفع له في خير أفضل عند الله من ثواب اعتكاف شهر كامل.

بعد أن أنهت لينا مكالمتها الهاتفية مع أحلام شعرت بسعادتها تجاه تلك الفتاة رغم أنها قد تعلم حجم الشبهات التي قد تطالها أيضًا من ورائها، خاصة أن عالم فتيات الليل و الكباريهات عالم مظلم تمامًا كالكهف العميق الذي إذا ما دخلت إليه لا تخرج منه أبدًا بل تسقط في أعماقه حتى تصبح من ساكنيه أخيرًا، كان في داخلي قليل من الشك والتوجس تجاه أحلام، حتى يومنا هذا لا أستطيع أن أنسى مظهرها أول مرة حينما دخلت من باب الفندق بصحبة النزيل الكويتي، ملبسها، مشيتها، طريقة كلامها، صوت ضحكتها، كانت هيئتها تلك قد طبعت في ذاكرتي صورة فتاة الليل كما يجب أن تكون، وكنت أخشى أن تعود أحلام

لتلك الليالي الحمراء مجددًا فيكتشف أمرها من قِبل زملائها الجدد ومديرها في العمل وبالتالي تتوجه الأنظار تجاه لينا، ولكن من ناحية أخرى وضعت نفسي مكان لينا وقلت في داخلي:

(اعمل الخير وارميه البحر)

وافترضت الخير لأخر لحظة فيها، ربما وضع الله لينا في طريق أحلام حتى تضعها في الطريق الصحيح وتكسب قوت يومها من عرق جبينها بالحلال بعد أن كانت ستكسبه أول مرة من جسدها العاري بالحرام.

لم أجادل لينا كثيرًا بشأن أحلام وتركتها بعد أن تبادلنا أحاديثنا كالمعتاد حتى منتصف الليل.

وصلت إلى بيتي، ودخلت إلى غرفتي، وقبل أن أخلد إلى النوم، مفاجأة غير متوقعة كانت تنتظرني على صفحتي الشخصية في الفيسبوك، دائمًا ما يثيرك الفضول حينما ترى تلك الإشارة الحمراء وتكتشف الشخصية التي ترغب في إضافتك إلى قائمة أصدقائها بدون أي سابق معرفة، كنت قد نسيت حقًا ذلك العالم الافتراضي وأهله، كانت سحر، تلك الراقصة الشرقية التي قابلتها أول مرة في دار القمر مع لينا قبل عدة أيام، قبلت طلبها كصديقة على الفيسبوك و لم تمر دقيقة حتى وصلتني أولى كلماتها على الشات:

- ميرسي يا جميل على القبول

ميرسي على القبول، في العادة، يقول الشاب هذه الجملة بهذه

الطريقة حينما تقبل فتاة طلب إضافته لها، وفي الغالب لا ترد على تحيته ولا على شكره

- على إيه نورتيني

- أنا مانسيتكش من ساعة ما قابلتك أول مرة و لسه فاكرة هدوءك في القاعدة

- ....

- أنا كنت قاعدة مش بعمل حاجة وجيت في بالي ومكنتش عارفة أوصلك إزاي، قلت الطريقة الوحيدة إللي أوصلك بيها إني أفتح قائمة أصدقاء لينا إللي عدو الألفين ونص وأضيفك، ودي حاجة أنا مش بعملها مع حد أصلا ☺

- يااااه للدرجة دي؟ طيب على كده هل في حاجة أقدر أخدمك بيها؟ محتاجة حاجة يعني أقدر أساعدك بيها؟

- ههههههههه مالك يابني قافش ليه؟ بص أنا واحدة عمليه خالص ومش بحب التعقيد، زي ما أنا ولينا أصحاب حابه نكون أنا وإنت صحاب

- .....

- ولا علشان أنا بشتغل رقاصة؟

- لا أبدًا مش كده، كل الحكاية إني لسه معرفكيش كويس ولا إنتي تعرفيني علشان نوصل للدرجة إللي إنتي متخيلاها.

- بص أنا عارفة إنك مش واخد على الجو ده، حبيت تبين ده قدامنا يوميها لكن معرفتش، بس هتتعود علينا مع الوقت وبسرعة كمان

- علينا؟ إللي هو مين بالضبط

- متقلقش هنتقابل قريب كمان كام يوم ☺

- أوك

- عامة أنا في الفيس بوك مش بتواصل مع حد غير مع ناس معدودة جدًا، إنت عارف بحكم شغلتي أغلب إللي عندي في صفحتي شباب صغير ورجاله وإنت فاهم طبعًا، فمش برد على حد لكن على أي حال، ده رقمي رنلي بس وهنتبقى على تواصل دائم، وماتخفش أنا مش هعضك ولا بخوف ☺

- تمام

- سلام مؤقت

ربط كلامها حينما قالت أننا سوف نتقابل قريبًا بكلام الأستاذ الذي قال لي بدوره إن عيد ميلاد لينا سيحل بعد أسبوع تقريبًا، كانت الترتيبات لهذا اليوم تتم في الخفاء.

كانت الأيام تمضي، ولا يمر يوم إلا وأخرج مع لينا سويًا، أحيانًا تعرفني على مجتمعات جديدة، وأحيانا نتسوق سويًا في المراكز التجارية الكبرى، حتى أنها كانت تأخذ رأيي في كثير من اختياراتها للملابس التي تشتريها من أفخم المحلات والماركات العالمية، وإذا أرادت أن تزيد

الأجواء مرحًا و بهجة كانت تتصل بلمياء و بعض أصدقائها الذين تعرفت إليهم لاحقاً، وفي مثل هذه الأجواء، لم تكن كاميرا الفيديو تفارقها أبدًا إذ كانت توثق كل لحظة سعادة ممكنة، كانت حريصة أيضًا أن تظهر معي في كل صورة، هذا غير العزائم الصغيرة في بيتها حيث كان بيتها مفتوحًا أيضًا للأصدقاء من وقت إلى آخر، وكما أعدت لي الطعام حين دعتني أول مرة إلى بيتها، أعدت الطعام بنفسها أيضًا وطبخت كل الأصناف، لتمتلأ سفرتها بما لذ وطاب، كنت أنظر وأراقب أصدقاءها هؤلاء وهم يملؤون البيت ضحكًا، حتى كاد كل ركن في بيت لينا أن يكون شاهدًا على تلك الأجواء، كان البيت ملاذًا لأصدقاء لينا ينسون فيه هموم في الدنيا ويخرجون منه وكأنهم ولدوا من جديد.

وهكذا دواليك تمر الأيام وصحبتي مع لينا لا تنقطع، وكل يوم كنت أتعلق أكثر بالأماكن التي أعتدت ارتيادها معها وبالمجتمع الذي اندمجت فيه، إلى أن جاء يوم عيد ميلادها، كان إحتفالا لم أشهد له مثيلا، وكان أيضًا نقطة التحول في حياة لينا، بل، وفي حياتي أيضًا.

ذلك اليوم، اتصلت بي لينا قبل يوم من أجازتي الأسبوعية، ودعتني إلى حفلتها قائلة إنني أول شخص تدعوه بحكم قربي منها طوال تلك الفترة، وأن هناك الكثير من المدعوين منهم من قابلتهم والغالبية العظمى لم أتشرف بمعرفتهم في ذلك الوقت، واختارت أن يكون مكان الحفل على النيل في مركب blue nile وتحديدًا في دار القمر حيث حجزت المكان

كله لصالحها وصالح كل المدعوين مسبقًا، ولم تستغرق المكالمة أكثر من دقيقتين ولم تحكِ لي أكثر من تلك التفاصيل، كان جدولها ممتلئًا فعلا، وأيقنت أنها حريصة كل الحرص على أن تكون تلك الليلة لا تنسى.

كان قد مر عليّ زمن طويل لم أحضر فيه عيد ميلاد خاصة عندما تكون تلك المناسبة لفتاة، كان آخر عيد ميلاد حضرته لخطيبتي السابقة منذ فترة طويلة جدًا ولم أحضر بعدها أي مناسبة، حتى نسيت فعلا كيف يكون شكل عيد الميلاد، و بسبب ذلك، وقعت في حيرة من أمري بشأن هدية عيد ميلادها، وسألت نفسي، فتاة بهذا الشأن والوضع و المكانة الاجتماعية بين الناس ترى كيف يمكن أن يكون مدى قبولها لهدية مهما كانت بسيطة؟ بسبب كثرة مثل تلك التساؤلات شعرت حقًا بالحرج الشديد خوفًا من ردة فعلها تجاه هديتي، إلى أن جاءتني فكرة وقادتني قدماي إلى أحد المراكز التجارية الكبرى في مدينة 6 أكتوبر، ومن أفخم محلات العطور ذات الشهرة في دول الخليج اخترت لها أغلى عطر، صحيح أن تلك الهدية كلفتني الكثير من المال إلا أنني لم أهتم بذلك بقدر ما كنت مهتمًا بهدية تليق بجمال لينا وطيبة قلبها، واخترت أيضًا أن أرفق مع الهدية بطاقة صغيرة كتبت فيها:

(إلى صاحبة الفضل عليّ والتي أعادتني إلى الحياة مجددًا، شكرًا لكي، كل عام وإنتي بألف خير متمنيًا لكي العمر الطويل الحافل بالتقدم والنجاح)

وفي يوم الأحتفال كانت لينا متواجدة قبل موعد الحفلة بساعة حيث كان المقرر أن يتواجد الحاضرون في تمام الساعة الثامنة مساء ومن ناحية أخرى لتتابع الترتيبات و تستقبل ضيوفها، ما جعلني أن آتي إليها بمفردي، وعندما وصلت كان هناك مابين خمسة إلى سبعة أشخاص كانوا قد وصلو بالفعل، استقبلتني لينا بأجمل حلة، حتى هذه اللحظة لا أنسى شكلها، كانت ترتدي فستانًا أحمر اللون وصل طوله إلى الركبة،و حذاءً ذا كعب عالي أنيق جدًا، وعقد من الألماس قد زين رقبتها، بتسريحة شعرها المنسدل المصفف بعناية، وكعادتها كانت تعرف جيدًا مقدار مساحيق التجميل والمكياج الذي تستخدمه لينير وجهها القمري، قلت لها:

- كل سنة وإنتي طيبة يا لينا عقبال مليون سنة

ابتسمت ببهجة:

- ميرسي يا شادي وإنت طيب ربنا يخليك

- دي حاجة بسيطة كده يارب تعجبك

- شادي مش معقول إنت ليه عملت كده وكلفت نفسك؟ كفاية إنك جيت دي أجمل هدية

- لا إزاي متقوليش كده دي حاجة بسيطة خالص، يارب العمر الطويل ليكي

ابتسمت لي وأردفت:

- بجد مش عارفة أقولك إيه ميرسي بجد، اتفضل

عرفتني بمن تواجدوا قبلي و جلست معهم فيما كانت هي تتابع الضيوف هاتفيًا، لم أنخرط معهم في الحديث إلا قليلا، ومع مرور الوقت أخذ ضيوف الحفل في التوافد إما فرادى و إما أزواجًا وإما مجموعات، من الذين أعرفهم حضر الأستاذ حسن ولمياء وطه وإبراهيم، ومن الذين تعرفت إليهم مؤخرًا جمال عبيد ومعه آخرون وحتى الراقصة سحر قد أتت أيضًا إلى الحفل، وهكذا شئيًا فشيئًا امتلأت القاعة تمامًا، رجال أعمال مع زوجاتهم وعشيقاتهم، عارضات أزياء بملابس لا تختلف كثيرًا عما تعرض عليهن في الديفليه والمسارح المخصصة لهن، ظباط شرطة بملابس ملكية تنظر إليهم وترى مدى الحزم والشدة في وجوههم وإن تظاهروا بعكس ذلك في أجواء احتفالية، إلى جانب محامين يتبادلون المعرفة وأرقام الهواتف مع أشخاص ذوي نفوذ، ممثلين وممثلات في بداية مشوارهم الفني، مخرجين سينمائين، وبعض الأصدقاء المقربين، كان أغلب الحضور أصحاب مراكز اجتماعية مرموقة، تعرفت لينا عليهم من خلال إقامة هؤلاء مؤتمرات صحفية في قاعات الفندق أو لمجرد ارتيادهم إلى الفندق وإقامتهم فيها من وقت إلى آخر ليس إلا، وكما كان الوضع سابقًا، تعالت الضحكات وامتلأت الأجواء بالأحاديث المتبادلة ربما يكون الفرق الوحيد هو الصحبة والجميع يعرف بعضه البعض، أصبحت الأضواء أكثر إشراقًا وبدأت الفرقة الموسيقية المكونة من عازف أورج ومغني ومغنية مع دي جي في العمل، ومع كل أغنية كانت تغني، كان الجميع يصفق وقد

ارتسمت البهجة على الوجوه، طلبت لينا من سحر أن تشعل الأجواء بالرقص إلا أن ما حدث هو العكس، إذ أخذت سحر إيشارب من حقيبتها الشخصية وحزّمت لينا لكي ترقص هي، وهو ما حدث بالفعل، قام كل ضيوف الحفل وحاصروا لينا تاركين لها مساحة كبيرة و كافية للرقص على الأغاني الشعبية في نفس اللحظة التي كانت فيها فتيات أخريات مليئات بالثقة يندمجن هنا وهناك مع جماعات من الأزواج والمرافقين لهن، لم تكن تلك الوجوه البهيجة تتغير أبدًا بعكس أضواء المكان الملونة أبدًا.

وفجأة وبطريقة عفوية أمسكتني سحر من يدي وجذبتني إلى المسرح مع لينا، ثم أتت بلمياء والأستاذ حسن أيضًا، لم أجد في حياتي كلها الرقص، كان كل ما أجيده في مثل هذه المناسبات هو الضحك والتصفيق فقط، لذا كان الوضع هو رقص الأستاذ حسن و لمياء مع لينا، ليخلوا الجو لسحر معي، كانت تتمايل كما الوردة التي تداعبها الريح، ترقص في انسيابية وتتعمد أن تقترب مني وتلاصق جسدها بجسدي حتى أن يدها لم تفارق يدي أبدًا طوال مدة رقصها، وفي وسط وصلة الرقص تلك همست في أذني قائلة:

- مش قلتلك إننا هنتقابل قريب؟

في تلك اللحظة، لاحظت لينا مدى رغبة سحر في التقرب مني وعندما نظرت إلى عينيها شعرت بأنها ترغب في قول شئ ما، كنا نتعب من

الرقص والتصفيق فنستريح ثم نعود مجددًا، شعرت حقًا أن في حياتي الكثير قد فات وانتهى وأنني قد حرمت نفسي من الناس والشعور معهم بالسعادة والدفئ، كان كل ضيوف الحفل بلا اي استثناء مدعوين إلى أي حفل كانت تقيمه لينا سواء في بيتها أو خارج بيتها وبطريقة أو بأخرى ينتهي بهم الأمر معها رغم أنهم في البداية كان نصفهم لا تربطهم أي علاقة بها بل تم دعوتهم من أشخاص لهم علاقة قوية تربطهم معها بحكم المصالح أو الصداقة أو الرغبة في التعرف فقط، كان الجميع يتصرف يوم عيد الميلاد بسلوك الناس في حدائق الملاهي، ورغم ذلك أحبتهم لينا كثيرًا رغم معرفتها أنها مصدر لسعادتهم ليس إلا.

رحل القليل من ضيوف لينا قبل منتصف الليل بنصف ساعة، وحل مكانهم غرباء لا نعرفهم أبدًا، كانوا أجانب، لذا لم يلق لهم أي أحد باله، كان هؤلاء الغرباء ينظرون إلينا في تركيز تام، فهموا من الجو العام أن ما يشاهدونه هو احتفال بعيد ميلاد وكان الأمر بديهيًا إذ علقت زينة وراء الفرقة الموسيقية مكتوب عليها:

(happy birth day lena)

وأثناء استراحتنا، جاء نادل برسالة همس بها إلى المغنية وعازف الأورج لكي يؤدوا أغنية when you love some one، نظر الجميع الى بعضه البعض في استغراب إلى أن قالت المغنية قبل أن تغني:

– الأغنية دي إهداء من الأستاذ جاد التـرك من لبنان للآنسة لينا

بمناسبة عيد ميلادها

وبدأت المغنية في الغناء، التفتت لينا في مكانها لتبحث بعينيها عن جاد الترك هذا، ولم تعثر عليه، وربما لم تلاحظ حتى دخول الغرباء إلى المكان، مرت دقيقة واحدة بالضبط، وكانت كافية لجاد الترك، فوجئنا جميعًا به وهو يتوجه من آخر القاعة إلى مقدمتها حيث كانت لينا تجلس في طاوله جمعتها معي و لمياء وأستاذ حسن وآخرون و قالها لها:

- تسمحيلي بالرقصة دي؟

اتسعت عينا لينا من الذهول واحمر وجهها من الخجل، كان يمد يده إليها، وكما المسيطر عليها بالسحر وضعت يدها بيده وقامت لترقص معه رقصة ال slow، كان جاد الترك يتميز بمظهر نجوم هوليود، كحال أغلب اللبنانيين يعرف كيف ينتقي ملبسه وكيف يظهر أمام الناس، رشيق ويدل جسده أنه يمارس الرياضة بانتظام، حتى لحيته الخفيفة على وجهه تدل على انه يعتني بوجهه عناية فائقة، كان جاد يتحدث مع لينا اثناء رقصهما ومع ارتفاع صوت الموسيقى وبعدهما عني لم أفسر الكلام، لكني فسرت من شكل لينا وهي صامتة عندما يتحدث جاد أو عندما تبتسم له، أنها سعيدة وراضية، من بين كل الرجال الذين عاصرتهم لينا و وسط كل المحاولات التي بدرت من أغلب الرجال ليكونوا مكان جاد الترك معها، كانت تقابل بالرفض، ليأتي جاد ويغنم بلينا بكل سهولة، كانت كل أعين الرجال والشباب ضيوف لينا تنظر إليهما في

غيرة تامة، كان الأمـر بـديهيًا جـدًا، تأكـدت حينهـا أنهـا رأت في جـاد الترك شيئًا لم تكن تراه في أي رجل آخر تعرفت إليـه، لتـصبح النتيجـة ثنائيًا أنيقًا يليقه أحده بالآخر، وتذكرت حينما قالت لـي أول مـرة تلـك الليلة في النيل:

(لحد دلوقتي ملقتش الإنسان المناسب اتقدملي كتير لكن ملقتش نفسي مع أي حد خالص)

كان الجميع يتهامس مع بعضه البعض، واكتفيت أنا بالمشاهدة فقط شعرت في داخلي أن الحب قد وجد لنفسه سبيلا إلى قلب نينا قبـل أن تدرك هي ذلك.

(10)

انتهى الحفل ورحل الجميع كما رحل جاد الترك من قبلهم، وبرحيلهم لم تنتهي همساتهم عن ما شاهدوه بأعينهم، أوصلتني لينا إلى بيتي كعادتها وحين خروجي من سيارتها قالت لي:

- شادي هتصل بيك لما أوصل البيت في موضوع عايزه أكلمك فيه ضروري

وانتظرت مكالمتها ولازال مشهد رقص لينا مع جاد الترك راسخًا في ذاكرتي، كنت جالسًا في غرفتي وأرى رقصهما معًا وكأنني أعيش تلك اللحظة مرارًا وتكرارًا، حتى أنني كنت أسمع مجددًا همسات الناس:

(هو مين جاد ده إللي بترقص معاه)

(شوف يا أخي التناقض، ده أنا فضلت كتير أتحايل عليها نخرج سوا أو نقضي وقت مع بعض وكانت بترفض دايمًا، يقوم يجي واحد زي ده وتقبل ترقص معاه بالسهولة دي)

(واضح إن السنارة غمزت)

(شوفي بترقص معاه إزاي، أنا مش فاهمة فيها إيه لينا دي علشان تاخد الاهتمام ده كله)

(ياااااه ده مز قوي، مكنش يرقص معايا أنا)

(ياعم وهي تبصلنا ليه أصلا؟ إن جالك اللبناني مش هتعرف تشوفها

تاني، اشرب بس اشرب)

(وعملالي فيها بنت أخلاق و أدب)

(ياما بكره نشوف)

اشتعلت غضبًا لمجرد تذكري لكل هذه الهمسات الجانبية، تلك النظرات التي كانت تطعن فيها دون إيه رحمة، ولكن عن أي حياة يعيش فيها الإنسان وسط مجتمع تقليدي لا يرحم، أقل تصرف فيه حتى ولو كلمة بسيطة تجرم، هكذا هو مجتمعنا، إما نهول من أبسط الأمور أو نسخف من أعظمها وسواء كان هذا أو ذلك فالنتيجة سلبية، لا حياة هادئة مع مجتمعنا مهما بلغت درجة التحضر أو المستوى الاجتماعي.

اتصلت بي بعد حوالي ساعة تقريبًا وكنت أنوي أن أحصل على إجابة مرضية لأنني متأكد تمامًا وبالبرهان أنها لا تعلم شيئًا عن ما أقحمت نفسها فيه

- إيه يا بنتي إتأخرتي عليا كده ليه في الاتصال؟

تنهدت وقالت:

- معلش يا شادي أنا بس مرهقة شوية ويمكن أخدت وقت على ما غيرت هدومي وكده

- مال صوتك؟ نبرة صوتك مش عاجباني بالمرة

- لا أبدًا مافيش حاجة

- إزاي مافيش حاجة؟ إيه الموضوع اللي كنتي عايزاني فيه

ضروري

صمتت

- ألو؟ إنتي معايا يا لينا؟

- أيوه معاك معاك

- إنتي بدأتي تقلقيني على فكرة

- بصراحة، حاسة زي ما أكون طايره في الحب

- حب؟ ؟

- لأول مرة أكون مع حد بالقلب ده وأرقص معاه حسيت كأني معاه في الجنة

- لينا، ده شخص إنتي متعرفهوش وغريب عليكي، الحاجات دي مافيهاش تهور

- بالعكس، أنا حاسة إني لاقيت نصي التاني أو بمعنى أصح هو اللي لاقاني

- يابنتي مش معنى إنه جاملك بأغنية و طلب يرقص معاكي إن دي حاجة كبيرة، ده العادي عندهم في لبنان ولا إنتي مش واخده بالك؟

- يمكن عندك حق، بس تصدق، أنا عمري ما شوفت إنسان زيه ولا هشوف، مش عارفة يا شادي، حاسة إني متلخبطة جدًا، مش عارفه إحساسي ده حب ولا إعجاب ولا إيه، بجد أنا تايهة جدًا، علشان كده قلت أفضفض معاك شوية

- طالما اعترفتي إنك متلخبطة وتايهه يبقى شعورك ناحيته ملوش أي أساس من الوجود، وبعدين يا لينا حابب أقولك نصيحة بجد، إبقي اختاري الناس إللي حابه يفرحولك من آلقلب حتى ولو كانو قليلين

- أنا عمري ما اهتميت بكلام الناس

شعرت من ردها هذا أنها كانت تشعر بضيوف حفلتها وهم يتهامسون عليها و كأنها تتحداهم، فرد واحد ضد الجميع، هكذا بدى لي الأمر، اردفت:

- أنا لو كنت عملت خاطر وحساب للناس بظروفي إللي مريت بيها طول الفترة إللي فاتت دي من عمري كان زماني انتهيت كليًا، صدقني العمر مافيش أقصر منه وكده كده الناس بتتكلم

- أيوه يا لينا بس

- صدقني يا شادي أنا مش مهتمه بيهم، أنا فاهمة وحاسة إنت عايز تقولي إيه وده شئ يسعدني إنك مهتم بيا جدًا وبيأكدلي إن عمر ظني مخابش فيك أبدًا

صمتت مجددًا وقالت:

- بتمنى إن إحساسي ده يكون صادق

- طيب إنتي اتكلمتي معاه؟ عرفتي عنه حاجه غير اسمه وجنسيته؟

- أكيد طبعًا، إحنا كنا باينين قدامكم إننا بنرقص بس في نفس

الوقت كنا بنتعرف

- طيب هو إيه حكايته بالضبط؟

- أبدًا، شاب عنده اتنين وتلاتين سنة عايش في ولاية نيويورك في أمريكا ومعاه الجنسية الأمريكية، والده لبناني من بيروت ووالدته مصرية، بيشتغل في مجال تصميم الديكورات وعنده مكتب في أمريكا و موقف أخوه حاليًا بيدير بالنيابة عنه و جاي هنا شهر سياحة في مصر تنفيذًا لوصية والدته ومقيم في فندق سميراميس حاليًا

- وصية والدته؟

- آه والدته متوفية بقالها حوالي أربعة شهور وكانت رغبتها في آخر أيامها إن جاد ينزل مصر ويشوف أهلها وبالمرة يقرب شويه من أهل والدته.

- اهاا، وإنتي إيه رأيك فيه؟

- منكرش إنه شاب جنتل وشيك ومجامل جدًا وإحساسي إن قلبه طيب جدًا كان باين مدى إعجابه بيا في عنيه، يمكن مش هشوفه تاني بس أتمنى إني أقضي حياتي مع إنسان زيه

- عامة يا لينا أهي ليله وعدت خلاص وكلنا انبسطنا وسعداء وأتمنى إنك تنسي وتركزي في إللي جاي

- عندك حق، يالا تصبح على خير

- وإنتي من أهله، باي

لا أنكر أنني كنت غير مطمئن لجاد الترك ولا حتى لإعجاب لينا بـه ورغبتها التي قاربت على التمسك به ليس لأنني أشعر بالغيرة، بـل هـو الخوف من فقدان لينا إلى الأبد، فوحدتها كفيلـة بـأن تجعلـها تفكـر بـه مرارًا وتكرارًا خاصة وأنها تعلم أين يقيم وهو يعلم أيـن تعمـل و المسافة تعتبر لا شـئ إذا أراد أحـد أن يـصل إلى الآخـر، شـعرت بلينـا حقًا بـل وأشفقت عليها أيضًا، فالإنسان منا إذا ما أجبر على الوحدة تـصبح جـزءًا من كيانه ويصبح العقل في حالـة جموح تـام بـين الحـزن والفـرح، يتـألم ويتعذب في ذكريات الماضي ويخشى من حاضره ومستقبله، يحـرص علـى أقل شئ تضفي إليه السعادة والسرور حتى وإن كان التواجد وسط النـاس لمجرد التواجد فقط، وهكـذا حتـى تكتـشف في النهايـة أن الأيـام تعيـد نفسها في دائرة الحياة، ولا شئ أكثـر قـسوة مـن سـجن الوحـدة و عـذاب الأيام.

مر أسبوع كامل لم تتحدث فيه لينا عن جاد الترك ولم يتحـدث أحـد من زملائنا في الفندق عن حفل عيد الميلاد وتلك الأجواء الكرنفالية، كانوا قد نسوا كل شئ باستثناء لينا وجاد، ولكن في خلال ذلك الأسبوع لم يكـن الحديث عنهما كبيرًا ولا حتى بالأمر الجلل، في ذلك الوقت لم يتعد حتى دردشة صغيرة أثناء تناول فنجان قهوة مع سيجارة بين أي اثنين، كانت الأجواء طبيعيـة للغايـة، الأسـتاذ حـسن في مكتبـه و أنـا ولميـاء وطـه في الريسبشن نعمل لاستقبال النزلاء الجدد ونقدم الخدمات للنزلاء المقيمين

في الفندق أما لينا فكانت أغلب الوقت كعادتها مع الأستاذ حسن وأحيانًا تأتي لتساعدنا قليلا في العمل، كنت أكثر سعادة بتلك الأجواء إذ كنت في وقت استراحتي أمضي الوقت مع الأستاذ حسن ولينا نضحك ونتناقش سويًا حول سير العمل وكيفية تطوير أسلوب العمل وأحيانا أخرى أتناول مع لمياء وطه فنجان قهوة أو كوبًا من الشاي أثناء أي حديث يكون بعيدًا عن العمل، حتى أني قد تعرفت إلى بعض النزلاء العرب والأجانب، لم يكونوا بالكثير ولكن يكفي أنهم كانوا مصدر سعادة وثقة ودفعة إلى الأمام بالنسبة لي، شيئًا فشيئًا أصبح الفندق بمن فيه بيتي الثاني بل وحياتي كلها.

وفي أحد الأيام وعلى غير المتوقع، أمام مرأى الجميع باستثناء لينا التي كانت تباشر العمل في مكتب الأستاذ حسن، فوجئ جميع من حضر حفل عيد الميلاد بدخول جاد الترك الفندق ومعه حقائبه وأمتعته، لقد غادر فندق سميراميس وقرر الإقامة هنا في الهيلتون حتى تتسنى له الفرصة للتقرب من لينا، مجددًا اشتعلت الهمسات بين الناس ورغم ضيق صدري من تلك الهمسات إلا أنني اتفقت معهم في السؤال، ترى هل أتى جاد الترك من قرار نفسه دون علم لينا؟ أم أن لينا تعلم بقدومه؟ وإن كانت تعلم وهي التي اعترفت بإعجابها به، لماذا لم تستقبله أم أنها تتجنب الشبهات وحديث الناس؟

حجزت بنفسي غرفة خاصة بناء على طلب جاد الترك والغريب في

الأمر أنه لم يعلق بأي كلمة باستثناء أنه كان يبادلني بنظراته كما كنت أفعل تمامًا، بدا شكلي مألوفًا لديه، وقبل أن يصعد إلى غرفته قال لي مبتسمًا بلهجته اللبنانية:

- بتخيل إنك رفيق لينا ولّا أنا غلطان؟ بعتقد اسمك شادي

لزمت الصمت لثواني وأجابته:

- ده صحيح، اسمي شادي ورفيق لينا زي ما بتقول، كلنا هنا رفقة لينا

كان طه و لمياء يحدقان فينا لشعورهما أن الحوار على وشك أن يشتعل بيني وبينه فقد كان يتصف بالهدوء البارد الذي لم يرد عليّ من قبل، أكمل حديثه قائلا:

- شو، مانّي شايف لينا اليوم؟

- الحقيقة مشغولة جدًا ومش فاضية

- آه منيح، منيح كتير الله يكون بعونها، لكان بليز ممكن تنقلها تحياتي وتسلملي عليها كتير كتير وبلغها إني ناطرها في أقرب وقت حتى نتقابل سوا ويشرفني أكتر إنك تكون حاضر معنا كمان

بادلت النظرات مع طه ولمياء اللذين لزما الصمت وقلت ناهيًا الحوار:

- أكيد يا فندم، إقامة سعيدة ولو احتجت أي حاجة إحنا في خدمتك

شعر جاد بمدى حدة ردودي عليه في حوارنا القصير ولم يملك سوى

أن يجاري الأجواء معي بشكل مؤقت من وجهة نظره.

- ميرسي كتير عزوقك، و بتمنى أنا وياك نلتقي يوم وحدنا حابب أتعرف عليك وتتعرف عليا أكتر، طبعًا إذا ماعندك مانع، مرة تانية ميرسي كتير باي.

وصعد إلى غرفته، لوهلة من الوقت شعرت بحنق شديد في داخلي وكما الغريق في عرض أمواج البحر الهائجة لم أدري ماذا أفعل ولا حتى ماذا أقول، شل تفكيري تمامًا لدرجة أنني فقدت تركيزي في العمل وهو ما لاحظته لمياء مع طه وأنا أجلس على الكرسي متكئًا برأسي على يدي، قالت لمياء:

- شادي هو إيه الحكاية بالضبط؟

لم أعلق.

- هو في حاجة بين جاد ولينا؟

لم أعلق.

قال طه:

- كده الموضوع في إن، مجية الراجل ده هنا مافيش وراها خير أبدًا

ردت عليه لمياء بحده:

- خير إيه وشر إيه إنت كمان ده نزيل زيه زي أي نزيل في الفندق عادي يعني، شادي إنت عارف حاجة إحنا مش عارفنها؟

نظرت إليهما وأشحت بيدي في حيرة من أمري وقلت:

- والله مش عارف أقول إيه، أنا كنت قربت شخصيًا أنساه وأنسى شكله، كنت فاكر إن الموضوع مجرد مجاملة في عيد ميلاد مش أكتر رغم إن ده غريب شويه إن حد يجامل حد ميعرفهوش، مكنتش متخيل أبدًا إن الأمور توصل لكده ده زي ما يكون متعمد إنه يوصلها بأي طريقة

علق طه قائلا:

- طيب مش ممكن يكون اتصل بلينا وقالها إنه جاي مثلا؟

- لا معتقدش كانت لينا قالتلي حاجة زي كده ثم الحوار كان قدامك، مشوفتوش وهو بيسأل عنها وبيدور بعنيه شمال و يمين زي ما يكون ليه حد تايه

- هو كان مقيم فين أصلا؟

- في فندق سميراميس

قالت لمياء:

- طيب هتقول إيه للينا؟

- مش عارف، يمكن مقولهاش أنا قلقان من جاد ده ومش مستريحله من ساعة ماشوفته.

نظرت إلي بتهكم وقالت:

- إزاي يعني متقولهاش؟ يابني كده كده الراجل ده بقى مقيم في الفندق خلاص أيًا كانت المدة إللي هيقعد فيها هنا هتلاقيه يا إما في كافيه

يا إما في مطعم يا إما في البار أو في الكازينو يعني هتلاقيه بيجوس في المكان و مسيره هيشوفها وتشوفه وحتى لو متقابلوش في الأماكن دي هو مافيش تيلفون عنده في الغرفة؟ مش هتيجي مرة يتصل بينا في الريسبشن وهي ترد عليه؟ بشكل أو بآخر هتعرف إنه موجود فنصيحة مني ليك قولها ياشادي أحسن ما يحصل موقف محرج ولا حاجة

وافقها طه قائلا:

- أنا شايف كده بردو مش هتخسر حاجة لما تقولها

- مش هخسر أيوه، لكن إحساسي أن لينا هي إللي هتخسر، وخسارة جامدة كمان

- طيب وهتعمل إيه معاه؟ هتشوفه وتقعد معاه ولا هتنفضله؟ أوعى تقولي مش عارف

- هشوفه وهشوف أخرته إيه.

تدخلت لمياء قائلة:

- بس عايزاك تحط في دماغك حاجة مهمة، فكر في سبب إصراره إنه يقعد معاك إنت بالذات ويتعرف عليك وإنه معبرناش حتى بكلمة هاي كيفكم باللبناني علمًا إننا كنا كمان حاضرين في الحفلة وأكيد شافنا كويس بس إحنا مكناش واخدين بالنا وقتها لحد ما جه ورقص مع لينا

- قصدك إيه؟

- قصدي إنه شئ وارد جدًا إنه عايزك كوبري يوصل من خلالك

للينـا، وممكـن عـايز يعـرف معلومـات عنهـا منـك زي طباعهـا صـفاتها والحوارات دي، خد بالك كويس وحط كل الاحتمالات في دماغك

طال النقاش بيني وبين لمياء و كثرت الاحتمالات والتفـسيرات، ومـع كثرة كل تلك الاحتمالات حيال رغبة جـاد الـترك في التقـرب مـن لينـا، زادت حيرتي وقلة حيلتي، انتهى العمل ولم يتفوه أحد بأي كلمة معهـا خاصة لمياء وطه الأمر الذي جعل من هذه المهمة الصعبة أن تكون كالجبال على كتفي، لاحظت لينا أنني لست على مايرام أثناء توجهنا إلى منازلنا، حاولت استدراجي بشتى الطرق وفتح مواضيع للحوار لكن دون جدوى، لم أكن أعلم حقًا من أين أبدأ.

وعندما اقتربنا من بوابة حدائق الأهرام استطعت أن أجمع القليل مـن شجاعتي وقلت:

– لينا إنتي فاضية ولّا وراكي حاجة هتعمليها في البيت؟

– لا أبدًا ليه؟

– بصراحه في موضوع كده عايز أكلمك فيه؟

بطريقة مازحة قالت:

– مممممممم موضوع، أنا كنت حاسة إن جواك كـلام عـايز تقولـه ماشي تعالى معايا البيت نتكلم على رواق

حاولت جاهدًا أن أرتب الكلام في عقلي قبل أن يخرج من لـساني كمـا حاولت توقع ردة فعل لينا حينمـا تـدري بـذلك الأمـر، جلـست معـي في

حديقة الفيلا وقدمت لي ولنفسها فنجانين من القهوة وقالت:

- ها يا سيدي خير موضوع إيه إللي كنت عايز تكلمني فيه؟

تلعثمت في البداية حتى بدا واضحًا على وجهي علامات الارتباك وعندما لاحظت ذلك قالت لي بهدوء:

- اهدى بس اهدى مالك مرتبك ليه؟ مافيش حاجة لده كله.

أخذت نفسًا عميقًا ومع برهة من الوقت استطعت لم شتات نفسي وسألتها:

- لينا هو بعد حفلة عيد ميلادك كلمتي إللي اسمه جاد الترك أو هو كلمك أو حتى اتقابلتم؟

- لا خالص محصلش الراجل كان ذوق حب يجامل وانتهى الموضوع ثم هو مقيم في سميراميس وتقريبًا عنده ظروفه الخاصة، بس تعالى هنا أنت إيه إللي فكرك بيه دلوقتي؟

- بصراحة يا لينا حصل حاجة كده أثناء وجودك في مكتب الأستاذ حسن طول الوقت ومكنتش عارف أوصلك إللي حصل إزاي ولا أقولك إيه

- خير يا شادي في إيه قلقتني، الشغل فيه حاجة مش مظبوطة؟

- لا خالص الشغل كل أموره تمام هو بس إللي حصل إننا في عز الشغل اتفاجئنا كلنا، هو مش كلنا كلنا أقصد كل إللي كان موجود في حفلة عيد الميلاد بجاد داخل من باب الفندق ومعاه شنطته وأنا إللي حجزتله

غرفته بنفسي.

صمتت من هول المفاجأة التي لم تكن تتوقعها أبدًا، راقبت تعابير وجهها الساكنة التي لم تعطني أي انطباع عن ما إذا كانت سعيدة بمجيئ جاد الترك إلى الفندق أم إذا كانت غاضبة، وحينما أفاقت قليلا من صدمة المفاجأة قالت:

- جاد؟ ؟؟

- أنا آسف يا لينا إني مقولتلكيش إنه وصل في ساعتها بس خوفت من ردة فعل الناس عليكي إنتي بالذات

- مقالش حاجة؟ مسألش عني؟

- سأل عنك فعلا وقولتله إنك مشغولة حتى أنه طلب مني إنه يقعد معايا في يوم لوحدنا ويتعرف عليا والغريبة أنه كان عارف اسمي أول مشافني

صمتت مجددًا ولم تعلق، شردت بذهنها كثيرًا

- ناويه تعملي إيه يا لينا؟

- مش عارفه

- الواضح إنه عايز يتقرب منك ويتعرف عليكي وده يدل على مدى إعجابه بيكي، أنا بس عايز ألفت نظرك لحاجة، لو قررتي إنك تقابليه حطي في دماغك حاجة واحدة بس إنتي عايشة في دنيا وهو جاي من دنيا مختلفة عن دنيتك خالص وده ممكن يسبب ألم ووجع ليكي.

لم تعلق مجددًا على كلامي كانت تستمع جيدًا إليّ وربما كانت تأخذه على محمل الجد لكني لم أكن متأكدًا من مدى اقتناعها من عدمه، استراح قلبي قليلا عندما أخبرتها بمجيئ جاد الترك إلا أن الخوف والقلق الأكبر مازالا يقبعان في داخلي، أخيرًا استأذنت منها للرحيل إلى منزلي بعد أن حذرتها من عواقب تلك العلاقة، وعند الباب أوقفتني لينا طالبة مني شيئًا إن دل فهو يدل على خوفها أيضًا، قالت:

- شادي أنا عارفة إني دايمًا بتقل عليك لكن أنا مليش غيرك ألجأله، أنا هقبل إنه يتعرف عليا يمكن يكون ده الحب إللي كنت مفتقداه من زمان لكن أنا عايزاك تبقى معايا وفي ظهري في العلاقه دي، إنت الوحيد إللي هتقدر تعمل كنترول عليا وهتشوف حاجات أنا مش هقدر أشوفها كبنت

- انا عمري ما هتخلى عنك ولا حتى أفكر في ده بس بشرط تحكيلي كل كبيرة وصغيرة علشان لو حصل حاجة لاقدر الله أقدر أتصرف، توعديني؟

ابتسمت لي وقد دمعت عيناها وقالت:

- أوعدك يا شادي ربنا يخليك ليا يارب

وكانت تلك المرة الثانية التي أرى فيها لينا تدمع.

(11)

ينظر الدكتور إلى ساعة الحائط في مكتبه التي تجاوزت منتصف الليل ويقرر أن يأخذ قليلاً من الراحة يستغلها في الحديث مع شادي ويستفسر منه عن بعض الأمور، يناوله كوبًا من الماء قائلا:

- اتفضل يا شادي حاول تبل ريئك شويه

يرتشف شادي الماء حتى آخر قطرة في الكوب الزجاجي

- أحسن دلوقتي يا شادي؟

بصوت يعتصره حزن الماضي

- الحمد لله على كل شئ

- طيب احكيلي بقى إنت إيه إللي مكنش مريحك في جاد الترك؟

- كل حاجة

- بمعنى؟

- عمري ماحسيت لحظة إنه بني آدم طبيعي، كان واخد الأمور بسهولة ومكنش بيعمل اعتبار لأي حاجة ولا حتى لأي حد، تقدر تقول كده إنه كان عايش حياته بالطول وبالعرض، لك أن تتخيل شابًا من أصل لبناني والده من بيروت و والدته قاهرية، اتولد في أمريكا وفبقه معلقة دهب نظرًا لأن والده كان مقتدرًا بمعنى الكلمة، كل حاجة وأي حاجة تحضرله بدون أي معاناه حتى البني آدمين مكنش عنده ذرة إحساس

بمشاعرهم وأحاسيسهم، ممكن يتعرف عليك علشان مصلحة وقتية في سبيل سعادته ومنفعته الشخصية بس، بعد كده إنت ولا حاجة بالنسباله، باختصار كان إنسانًا باردًا

- طيب ليه لينا ماشفتش كل إللي بتقوله ده فيه؟

- لأنها كانت في الوقت ده معمية بحبه وكانت معجبة بيه

- مش جايز تكون شافت حاجة فيه زي ما شافت فيك إنك ممكن تكون سندها مثلا؟

- إللي متأكد منه إنها كانت شايفه فيه نصها التاني ولذلك حاولت بشتى الطرق إلني ألفت نظرها و أحذرها من عدم التسرع معاه في العلاقة.

- مفهوم مفهوم

يأخذ الدكتور مصطفى نفسًا عميقًا ويردف قائلا:

- أنا تفسيري لعدم قبولك لجاد الترك هو إن جواك قلق وريبة من أي حد مختلف عنك ويمكن ده شائع في مجتمعنا بنخاف من أي اختلاف حوالينا أو فرض نفسه علينا، يمكن عدم احترامه بالعادات والتقاليد حتى الخاصة ببلده لبنان هو إللي خلاك تقلق بالشكل ده، إنت لسه فاكر شكله لحد دلوقتي؟

- بالميلي

- تقدر توصفهولي؟

- زي ما لينا قالتلي وقتها إنه شاب عنده اتنين وتلاتين سنة كان بيتميز بجسم رياضي إلى حد ما، طويل، لون بشرته بيضاء، أشقر وعلى ما أتذكر إن شعره كان لونه بني، عينيه حادة، متقدرش تحدد إللي جواه من ملامح وشه، راسم وشم على دراعه اليمين عبارة عن هيكل عضمي لابس عباية سوده وفي إيده عصاية خشب في نهايتها شفرة حادة، حاجة كده عامله زي ملاك الموت، وبرغم إنه نصه مصري إلا إنه كان يدوب يعرف يتكلم باللهجة المصرية وده إللي كان مسببله صعوبة في إنه يكمل وينقل حياته لمصر

- طيب علشان منتنقلش لنقطة أبعد خلينا نمشي واحدة واحدة بالترتيب، قولتلي إنه أول ما دخل الفندق عليكم إنك إنت بنفسك إللي حجزتله وإنه طلب منك إنكم تتقابلم، أعتقد والله أعلم إنه كان غرضه تبقى القعدة على انفراد لأنه حس بشكل أو بآخر بمشاعر سلبية منك وده بيدل على مدى ذكائه وقدرته على إنه يقرأ إللي قدامه.

- فعلا يا دكتور مصطفى كلامك صح وهو ده إللي حصل فعلا

- يعني فعلا قعدت معاه؟

- أيوه

- احكيلي من البداية

(12)

كان جاد الترك في أول يوم له في الفندق سريع التحركات بدرجة غير متوقعة حيث كان يقضي أوقاته بين شرب القهوة والتدخين في حمام السباحة ثم يعقبها وقت طويل في الجيم الرياضي ويختتمها في المطعم وفي الليل إذا ماقرر أن يبقى في الفندق فالكازينو هو ملجأه الوحيد، وإن خرج من الفندق فلا أحد يعلم إلى أين يذهب بدا لي وللآخرين أنه كمن برمج حياته على روتين معين غير ممل أبدًا، كانت العيون مفتوحة على جاد الترك، فعلى قدر الاهتمام به كحال أي نزيل في فندق هيلتون رمسيس على قدر الفضول الرهيب الذي تملك البعض ودفعهم إلى معرفة تفاصيل العلاقة بينه وبين لينا.

و برغم أن لينا أصبحت تعلم بوجوده في الفندق وترقب أقرب المقربين لردة فعلها عندما تراه، لم ينساني من جدوله اليومي، اتصل بي في الريسبشن وطلب مني أن أقابله في غرفته منفردًا بعيدًا عن الناس والضوضاء، وبطريقة لا إرادية قبلت طلبه، طلبت من لمياء أن تغطي مكاني في العمل ريثما أعود وحينما سألت تحججت بحجة أن معرفة أحد أقربائي نزيل في الفندق وأنه يحتاج إلى خدمة، لست متأكدًا أن ما قلته قد اقتنعت به لكنها لم تعلق على أي حال.

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف عندما استقبلني في غرفته، تلك

الغرفة. تعيدني الذكريات فيها أنني كنت متواجدًا قبل مدة طويلة بداخلها، كانت تلك الغرفة هي نفسها التي حجزتها لمياء لمنصور القحطاني وأحلام حينما أراد منها إشباع غريزته الجنسية، صوت صراخها وبكائها من الألم لم يمح من ذاكرتي كما صورة الغرفة آنذاك حينما كان بعض محتواها ملقى على الأرض و محطمًا، مقارنة بهذه الذكرى بدى كل شئ طبيعي وأكثر من ممتاز، علمت حينها أنه شخص غير مستهلك أبدا ولا يستخدم الشئ من باب الاستخدام وكفى إلا وإن كان في حاجته. استقبلني جاد الترك بأريحية و ترحاب كبيرين فعلى الرغم من المستوى و المظهر اللائق الذي نادرًا ما يراه المرء في شخص ما إلا أنه كان غير متكلف أبدًا في ملبسه، حيث كان يرتدي تيشرت كت رياضي أبيض بدون أكمام و شورت برمودا أسود اللون، و كانت تلك المرة الأول التي أرى فيها الوشم الكبير على ذراعه، جلسنا قبالة بعضنا البعض واستهل حديثه قائلا:

- بتشكرك على قبولك لدعوتي وبعتذر منك إذا أخدت من الشغل، بتمنى إني ما أكون سببتلك مشكلة أو..
- لا أبدًا مافيش مشكلة ولا حاجة ولو، إحنا نتشرف بيك
- ميرسي إلك كتير
- خير؟ ؟ بتمنى إنه كل حاجة هنا في الفندق تمام معاك، في أي

مشكلة؟

- لا أبدًا ماڤي أي مشكلة أبدًا، الشباب والصبايا ما بيقصروا أبدًا، في الحقيقة أنا كان في موضوع كنت حابب أحكي فيه معك

واستطرد مازحًا باللهجة المصرية:

- وأهو بالمرة أمارس اللهجة والكلام المصري مع حد بدل ما بتكلم باللبناني ومحدش بيفهم مني حاجه

- ياسيدي اتكلم بالمصري براحتك حد ماسكك هو إحنا هنروح من بعض فين، ولّا إيه؟

علم من ردي هذا عليه أنني على نفس خطى تفكيره وهو ما جعله أن يكون أكثر جدية قليلا، قال:

- طبعًا عندك حق إحنا هنروح من بعض فين وعلشان هيك، أقصد علشان كده أنا طلبت منك إننا نتقابل على انفراد

قلت له بنفس درجة الجدية:

- أعتقد أن الموضوع إللي جايبني مخصوص علشانه يخص بشكل أو بآخر لينا

- ده صحيح يوم الحفلة لما كنا بنرقص سوا مع بعض حكتلي عنك شوية وحسيت إنه علاقتي بلينا لا يمكن تنجح إلا إذا علاقتي بيك نجحت وبتصور إنكم زي ما بتقولوا هنا في مصر أكتر من إخوات مش مجرد أصدقاء

- من حيث إننا أكتر من إخوات ومش مجرد أصدقاء ده حقيقي، أنا مش هسألك سيرتي جت إزاي ولا إيه المناسبة ولا حتى إتكلمتم في إيه لا لا لا خالص أنا هسألك سؤال واحد بس وبتمنى تكون صريح معايا

- ولو اتفضل

- إيه سبب اهتمامك بلينا للدرجة دي وإللي خلاك تنقل إقامتك من فندق سميراميس لعندنا هنا في الهيلتون؟ واشمعنا لينا بالذات؟ ما إنت أكيد مر عليك بنات كتير في أمريكا

ارتبك لثواني قليلا وقال:

- تقدر تقول إني بعرف أقدر الجمال، صحيح إني حياتي بأمريكا خلتني أشوف كتير ويمكن العلاقات بين أي اتنين تكون سهلة لكن مع لينا كان الأمر مختلف، لينا من النوع إللي تدخل قلب الواحد بسهولة وبعتقد إن بحكم معرفتك بيها تعرف ده، ولأنها دخلت قلبي من أول لحظة مقدرتش أتمالك نفسي من إني أروحلها وأطلب منها ترقص معايا رغم إني عارف أن تصرفي ده ضد طبعكم هنا كمصريين إنه واحد غريب يطلب من واحدة لا يعرفها ولا تعرفه ترقص معاه في مناسبة عيد ميلاد شئ غريب بالنسبالكم أنا عارف، لكن إللي عايزك تتأكد منه إني معجب بيها كتير كتير كل إللي بتمناه إني أقرب منها أكتر، مش عايزك تفهمني غلط بس زي ما بيتقال في المواقف إللي زي دي، أنا غرضي شريف

- طيب انا دوري إيه في كل ده؟ إنت عايز مني إيه بالضبط؟

- مش أكتر من إننا نكون أصدقاء وإنك تكون وسيط بيني وبين لينا

لم تفاجئني طريقته الغريبة في عرضه هذا، ليس بعد موقفه في حفلة عيد الميلاد لذا أصبح من الطبيعي أن أتقبل أي تصرف أو كلام غريب الأطوار منه حتى وإن كان غير متوقع، سكت لعدة دقائق أفكر مليًا في كلامه وقلت له:

- أنا هقلك كلمتين تحطهم حلقه في ودانك، لينا بنت جميلة وظريفة وناعمة من الآخر رائعة، عن نفسي أنا لا يمكن استغنى عنها أبدًا كأخت ليا بتوحشني لما بتغيب عني أو مسمعش صوتها في يوم، وزي ما أنت شوفتها بالضبط و اتعرفت عليها وعرفت طريقة كلامها وتعاملها ويمكن كمان حياتها، لينا من الآخر حد أنا واثق ومتأكد إنك لا يمكن تكون شوفت حد زيها ولا هتشوف يمكن لأني شايفها جوهرة غالية نادرة الوجود الأيام دي برغم كل الظروف والمشاكل إللي مرت بيها، لينا بتحب الحياة و البشر وعمرها ما بخلت على حد حتى ولو بابتسامة عابرة، جدعه وبتشيل هموم الناس ولا يمكن متساعدش حد، إنت قلت إنك معجب بيها وأنا بحترم صراحتك دي لكن عايز ألفت نظرك لحاجة، لو إنت بتحبها صحيح وعايز تقرب منها بجد يبقى لازم تكون عارف إزاي تحافظ عليها لأن صدقني قلبها ده غالي ولا يمكن تسلمه لحد

بسهولة فأرجوك متحاولش تكسره.

- للدرجة دي يا سيد شادي؟

- وأكتر، يمكن أنا بقولك كده لأنك واضح معندكش فكره قد إيه الإنسان ممكن يعيش حياته كلها ومايجتمعش بحد زيها

كانت عينا جاد الترك تشع وتلمع إعجابًا كلما أتكلم عن لينا وأصف له عن شخصيتها وطباعها، كان يستمع باهتمام شديد وقلما ما كان يسأل أو يستفسر، قبلت صداقته وقررت أن أعطيه فرصة بعدما كنت لا اثق به بسبب حكمي عليه المسبق، وعندما انتهيت من حديثي قال:

- طيب تعتقد أنا ممكن أقابلها إمته؟

- ده شئ يرجعلها هي أنا لا أملك إني أحدد قرارتها لكن إللي أقدر أأكدهولك إني هنقلها حقيقة مشاعرك وتفاصيل حواري معاك

بلكنته اللبنانية قال:

- هي بتعرف إنك جاي لعندي؟

- لا أبدًا، هي آه فعلا عارفه إنك نزيل هنا في الفندق لكنها في الواقع مشغولة مع المدير في مكتبه

- طيب إنت بتقبل إني أعطيك رقم تيلفوني الخاص وتكلمني؟ ده طبعًا بعد ما تكلمها الأول وتقبل إنها تشوفني أو لا

- أكيد طبعًا ومتقلقش، إللي فيه الخير يقدمه ربنا

أقنعت نفسي إنه بتصرفي هذا مع جاد الترك بمثابة شكر للينا عن كل

ما فعلته معي طوال مدة معرفتي بها، شعرت أنه لن تمر دقيقة في حياتها تشعر فيه بالوحدة حينما لا أكون متواجدًا معها، ورغم أنني السبب في سعادة جاد الترك بقبولي طلب صداقته و وساطتي بينها وبينه إلا أنني السبب أيضًا في ذيادة الخوف بداخلي من فقدانها بشكل أو بآخر.

خرجت من غرفته مع وعود له بأنني سأتولى الأول، توجهت الى الريسبشن وكانت لينا حاضرة مع لمياء وطه تعمل معهما حتى أعود، كانت العيون ترصدني والكل يتساءل ما الذي دفعني لأترك مكاني في العمل لأقابل شخصًا ما في غرفته؟

لم تنطلي حيلتي على لمياء التي بدورها أخبرت لينا أنني توجهت إلى أحدهم في غرفته، أيقنت لينا أنني قد قابلت جاد الترك ورغم ذلك لم تظهر علامات الفضول على وجهها عكس لمياء التي كانت تغمز لي بعينها رغبة منها في معرفة التفاصيل أما طه فكان هادئًا لأنه يعلم أن ما حدث وسوف يحدث سيصله من لمياء.

سرعان ما انقضى الوقت وانفردنا مجددًا ولكن هذه المرة لم نذهب إلى منازلنا، أصرت لينا في ذلك اليوم أن نذهب إلى كافيه أميجوس الذي توسط الشارع الذي نسكن فيه في حدائق الأهرام، لم تكن إضاءة الكافيه ساطعة، التصميم الداخلي وأدوات المائدة لا تكاد تعبر عن هوية المكان، تنبعث في أرجاء المكان أغاني مملة تصدر من شاشات العرض المعلقة، ورغم ذلك فإن الديكور قد صمم بعناية بالغة تظهر مدا التكلفة العالية التي تكلفها

صاحب المكان، لم يكن المكان يعج بالزبائن إذ كان يتكون من طابقين، الطابق السفلي كان يشغله القليل ربما مائدتين أو ثلاثة على الأكثر، اختارت لينا أن نجلس في الطابق العلوي الذي لم يتواجد فيه إلا سوانا فقط، جلسنا على إحدى الطاولات وسرعان ما أتى النادل قائلا:

- منورين المكان يا فندم تحبو تشربوا إيه؟

قالت لينا:

- قهوة مظبوط

- والباشا؟

- شاي

- تؤمروني بحاجة تانيه حضرتك؟

سارعته لينا بالرد قائله:

- لا ميرسي شكرًا

أخرجت لينا من حقيبتها علبة السجائر و ولاعة، أخيرًا ظهرعليها التوتر قليلا كما بدا عليها أول مرة حينما تحدثنا عن والدها، أشعلت السيجارة ونفثت دخان وكأنها تنفث ما بداخلها عمدًا، وعندما هدأت قليلا نظرت إليّ وقالت:

- إنت روحتله يا شادي صح؟

- حصل فعلا

حكيت لها كل ما دار بيني بين جاد الترك في حوارنا وعن مدى

رغبته في القرب منها وإعجابه وطلبه لفرصة لقائها في أقرب وقت ممكن، لم تكن لينا غاضبة من لقائي به كما لم تبدي أي انفعال من أي نوع حيال الكلمات التي صدرت من جاد الترك، كانت ملامحها نقية صافية وهي تسمع مني ما دار من الحوار، شعرت في داخلها أن جاد يكن لها الحب بشكل أو بآخر وأن تصرفه في أن ينقل إقامته إلى فندق الهيلتون قد تعدى مرحلة الإعجاب بها، و كأي فتاة حينما تتعرض لمثل هذا الموقف أو حينما تسمع كلمة حب أو ترى تصرف ما بداعي الحب تدمع عيناها وتشعر بأن كيانها ووجدانها قد زلزل، تلألأت عيناها بالدموع لتشع نورًا من مقلتيها ولم أجد نفسي إلا وأنا أمسك بمديل ورقي لامسح تلك الدموع بيدي وقلت لها:

- لينا، القرار دلوقتي قرارك حاولي تفكري الأول قبل ماتردي

تمالكت نفسها وقالت:

- إنت شايف إيه؟

- إللي أنا شايفه إن الكورة في ملعبك دلوقتي جاد طلع إللي جواه واعترف بإعجابه بيكي مع إني شايف إن الموضوع مش مسألة إعجاب وبس، هو طالب يقابلك وفي المكان و الوقت إللي إنتي عايزاه، وبناء على كده هتصل بيه وهقله

صمتت وهي تفكر مليًا:

- لينا، أرجع وأقولك بلاش تسرع في العلاقة خدي بالك، جاد ده

من دنيا وإنتي من دنيا تانيه خالص وده كفيل إنه يخلق مشاكل أيا كانت نوع المشاكل دي

- يمكن عندك حق بس الحب دايمًا بيكون أكبر من المشاكل حتى لو الطرفين من عالمين مختلفين عن بعض

صمتت لثواني وقالت:

- أنا أخدت قراري، أنا موافقة إني أقابله

- فين وإمته؟

- في المكان إللي أول مرة إتقابلنا فيه، في blue nile مطعم دار القمر بكره بعد الشغل مباشرة أنا وإنت هنكون هناك، حاول تدبرله عربية توديه لهناك وبكده هنكون بعيد عن العيون قدر الإمكان.

- وهو كذلك بس المهم هل إنتي مقتنعة بالخطوة دي؟

- مقتنعة لأني حاسه إن في حاجه بتربطني بيه وتربطه بيا، حاسه إني عايزه أسمع منه كتير، حاسه إن لأول مرة أعرف معنى الحب، فاكر لما كلمتك ليلة حفلة عيد ميلادي عنه؟ كنت حاسه إن جواه مشاعر ناحيتي كنت بكدب نفسي لآخر لحظة بس اتضحلي العكس في الآخر، صدقني يا شادي أنا مقتنعة وراضية تمامًا

- طيب خير إن شاء الله

عدت إلى منزلي وأنا مقتنع بأن الله وحده يعلم النوايا الحقيقية وراء تلك العلاقة وكما بدأت أمام أعين الجميع فإن الله وحده أيضًا يعلم كيف

ستنتهي، نفذت رغبة لينا واتصلت بجاد الترك وأخبرته بالمكان والموعد، شعرت بأنه قد قفز فرحًا بهذا الخبر وكأنه كان ينتظره على أحر من الجمر وقال:

- لك الله يعطيك ألف عافيه على هيك خبريه حقيقي ما بعرف كيف أتشكرك

- لا شكر على واجب لينا دي أختي وأكتر من أختي كمان وإنت باين عليك شاب ابن حلال وتستاهل

- ميرسي إلك كتير كتيربالمناسبة راح تكون موجود معنا؟

- أكيد طبعًا هكون موجود ولو فرصة نتعرف على بعض أكتر

- بتشرف طبعًا

- هظبطلك عربية على الساعة خامسة تاخدك من الفندق للمكان وترجعك تاني متقلقش كل حاجة مترتبة مسبقًا

- يعطيك العافية والله ما بعرف كيف أتشكرك كترت جمايلك عن جد

- متقولش كده وبعدين اتفقنا راح فين؟ ياراجل إنت الدم المصري بيجري في عروقك حاول تنسى اللهجة اللبناني شوية

ضحك وقال:

- لا تآخذني بس من الفرحة نسيت لهيك إتكلمت معك لبناني

ثم باللهجة المصرية أردف:

- وبعدين أنا محظوظ إن ليا اتنين بقوا قريبين مني أتكلم معاهم بلغة أم الدنيا

ولكي أنهي معه الحديث قلت له:

- جهز نفسك يا جاد وزي ما وصيتك حافظ على قلب لينا لأنك مش هتلاقي زيه أبدًا

- ولو إنت بتقول إيه دي في عنيا

- أتمنى ده، تصبح على خير

ربما أكون قد ساهمت في تقربهما في بداية الأمر، وربما أكون قد أعطيت جاد الترك فرصة ليثبت نفسه ويصحح الصورة الخاطئة التي كونتها عنه في ذهني، إلا أن الخوف على لينا لازال قابعًا في داخلي، لم أكن أملك سوى أن أدفنه في داخلي فقط ولا أظهره لهما حتى لا أتهم في نهاية الأمر أنني قد عثت خرابًا بينهما، من ناحية أخرى فإن ما يعزيني و أراحني نفسيًا هو أنني قد حذرتها من الانجراف سريعًا مع جاد في هذه العلاقة، كنت آمل وكان ذلك هو أملي الوحيد أن تحكّم عقلها قبل أن تترك زمام الأمور لقلبها.

كانت الدقيقة تمر على لينا كأنها دهر من الزمن، هذه المرة لم تكن مع الأستاذ حسن في مكتبه بل كانت معنا في الريسبشن منذ الصباح على أمل أن تراه هنا أو هناك، كان جسدها فقط متواجدًا قربي، أما عقلها فقد كان في مكان آخر، لم تكن لينا متماسكة قربي، حتى أنها بالكاد كانت

تركـز مـع النـزلاء والمترددين علينـا لخـدمتهم، حاولـت في لحظـة مـن اللحظات أن تخرج من الريسبشن للبحث عنه في الفندق حتـى وإن تطلـب الأمر أن تصعد إلى غرفته، أوقفتها وقلت لها بصوت خافت:

- لينا إعقلي شوية بصي حواليكي إحنـا هنـا مـش لوحـدنا ،أي تصرف منك هيذيد الشكوك و القيل و القال إحنا مش ناقصين، كلها كـام ساعة ونخلّص شغل ونقابله

مضى على محاولتها تلك حوالي نصف ساعة بعدها قالت لي:

- بعد إذنك يا شادي

- لينا؟ وبعدين؟ ؟

- متقلقش أنا رايحه الحمام

نظرت إليها عن كثب لأرى أنها ليست على مايرام وقلت:

- طيب عامة ياريت ترجعي هنا على طول

بمجرد توجه لينا إلى الحمام رأت لياء أن الفرصـة مناسبة للحـديث معي لإشباع فضولها الذي كان يأكلها منذ البداية، قالت:

- تعلالي بقي وفهمني

- أفهمك إيه؟ إيه يا لياء ده وقته؟

- آه وقته إنت شايف الشغل مقطع بعضه يعـني ياسـيدي إعتـبر إننا في بريك أو حاجة

- أنا مش فاهم إنتي بتفكري بدماغك دي إزاي بصراحة؟

- بص بقى ومن الآخر حكاية إن ليك صاحب معرفة طلعت تقابله ده مدخلش دماغي خالص إنت طلعت قابلت جاد

- وسواء هو ولا غيره إيه المشكلة؟

- المشكلة إن لينا نعرفها من سنين وعمرها ما اتغيرت بالشكل ده وبصراحة شامه ريحة كده مش مظبوطة

رددت عليها بنبرة عصبية قائلا:

- لياء، حاسبي على كلامك في إيه؟ قلتلك مافيش حاجة وقلتلك طلعت أقابل حد معرفة هو إيه مافيش حد في الفندق كله غير جاد الترك؟

انكمشت لياء في نفسها ولم ترد على كلامي في حين راقب طه الحوار بيني وبينها كعادته دون أي تعليق، عادت لينا مجددًا وكان واضحًا أسفل عينيها قطرات صغيرة من الدموع، نظرت إليها مجددًا عن كثب لتقول هي لي:

- مافيش حاجة يا شادي أنا كويسة

- نفسي أصدقك بس للأسف دموعك فضحاكي

- متخافش أنا بس غصب عني كده لاقيت نفسي بدمع

- لينا إحنا قدام الناس والموظفين زمايلنا أرجوكي إمسكي نفسك شوية مش كده

- حاضر

- بقولك إيه، لياء حاولت تعرف موضوعي إمبارح مع جاد و

بدأت تحس بأن في حوار بينك وبينه و أنا قولتلها إن مافيش حاجة فخدي بالك لو جت تفتح معاكي الموضوع

- أنا كنت متوقعة ده هو طبعها ولا هتشتريه يعني؟

انتهت نوبتنا في العمل وطلبت مني لينا سرًا أن أطمئن على السيارة التي من المفترض أن تقل جاد من الفندق إلى المركب النيلي و العكس، ولم نرحل أنا وهي إلا عندما وصلت السيارة أمام باب الفندق.

وصلنا قبل جاد الترك إلى المركب النيلي وكانت لينا قد حجزت مسبقًا طاولة لثلاثة أشخاص، أخذت في تعديل حمرة وجهها ومكياجها ثم أخرجت من حقيبتها عطرها الباريسي المميز لتتعطر به، كان لديها حرص شديد على أن يكون ذلك اللقاء مميزًا بالنسبة لها، كان المكان أقل صخبًا من المرات الماضية التي تواجدت فيها في هذا المكان، الموسيقى كانت أكثر هدوء، والزبائن من حولنا كانوا يجلسون فرادى وأزواجًا، هناك شخص يكتب على حاسوبه المحمول، فيما يكتب آخر رسالة على هاتفه الجوال، وآخرون بعضهم يتسامر والآخر يلتقط الصور لبعضهم البعض بينما أصناف الطعام والشراب على مائدتهم، أما أنا ولينا فلم نتحدث كثيرًا كعادتنا نظرًا لتوترها الشديد رغم محاولاتي المتكررة في تهدأتها سلفًا، كانت تنظر إلى ساعتها باستمرار وكأنها في انتظار القدر وأحيانا أخرى كانت تترصد الناس من حولنا ظنًا منها أن جاد الترك قد يكون حاضرًا دون أن يكون قد لفت انتباهها، أخيرًا وقفت وقالت:

- يلا بينا يا شادي

- على فين؟

- حاسة إنه مش هيجي

- يابنتي استهدي بالله ده هو إللي طلب يشوفك ويتعرف عليكي وإنتي محددة المكان والوقت ده إنتي مسمعتهوش لما قولتله إنك موافقة، ده كان هاين عليه يطير من الفرح

جعلتها كلماتي تلك أن تطمئن قليلا لتجلس مجددًا وهي تنظر إلى ساعتها، أمضينا ساعة تقريبًا على هذه الحالة حتى ظهر جاد الترك أخيرًا واقفًا عند الباب محاولا البحث عنا، فقفزنا من أماكننا معًا، وهرولت إليه وأنا نفسي أشعر بقليل من الأرهاق، كان جاد الترك في أبهى حلته تلك الليلة، لم يكن رسميًا بمعنى الكلمة، كان بسيطًا وغير متكلفًا على الرغم من أن ملبسه يوحي بأنه من إحدى الماركات العالمية باهظة الثمن، على ما أتذكر كان يرتدي قميصًا أزرق اللون مفتوحًا على تيشرت أبيض اللون وبنطال جينز أزرق اللون وساعة في معصمه الأيسر من نوع فيراري ربما لم أر لها مثيلاً من قبل، وعن عطره فلا أذكر مصدره بالضبط لكنني أذكر أن عطره كان مميزًا ويعلم كيف يرضي ذوقه الخاص كحال لينا أيضًا في مثل هذه الأمور، كنت أترصد رد فعل لينا حينما جلس معنا جاد الترك، تلك التموجات الناعمة في صوتها وسط كل تلك الأصوات المحيطة التي اتسمت بالضجيج مقارنة بصوتها تلك اللحظة، كنت أتتبع

رنات صوتها بأذني وحدها وهي تشكل كلماتها لتوجهها إلى جاد الترك، لكن كان خجلها دائمًا ما يجعلها تتلعثم، ولأكسر تلك الفجوة التي استمرت لدقيقتين قلت:

- منورنا يا عم جاد

- بنوركم والله معلش إذا إتأخرت عليكم بس الطريق كان زحمة شوية وده كان سبب تأخيري لولا كده كنت جيت بدري

- لا أبدًا ولا يهمك ماحصلش حاجة

ثم نظر إلى لينا وقال:

- إزيك يا لينا إيه الشياكة دي؟

- الحمد لله ميرسي على المجاملة

- ماعندكيش فكرة لما شادي اتصل بيا وقالي إنك قبلتي تقابليني كنت سعيد قد إيه، وساعدتي زادت أكتر وأنا قاعد معاكي

ابتسمت لينا وقد احمر وجهها خجلا

- بعتقد إن دي فرصة إني أعرفك بنفسي أكتر وأتعرف عليكي يمكن يوم عيد ميلادك كان التعرف عابر بالنسبالك لكن بالنسبالي كان إصرار إني أتقرب منك

بصوت خجول قالت:

- أكيد طبعًا ياريت

حاولت أن أضفي على لقائهما بعضًا من البهجة إذ قلت له مازحًا:

- بس قبل ما تتعرفوا على بعض اسمحلي أقولك عيني عليك باردة ده إنت بتتكلم مصري أحسن مننا أهو

ضحك وقال:

- يعني بحاول إني ماتكلمش لبناني قدر الإمكان وبتمنى إن بفضلكم لهجتي المصرية تتحسن أكتر

وقبل أن يكمل جاد كلامه قاطعته لينا قائلة:

- ممكن تكلمني عن نفسك؟

نظر إليها مبتسمًا وقال:

- أكيد، أكيد طبعًا وهبدأ من الأول كمان اسمي جاد يوسف الترك لبناني أمريكي يمكن زي ما قلتلك قبل كده أنا بشتغل مهندس ومصمم ديكورات وعندي مشروع هناك في نيويروك تقدروا تقولوا كده زي مكتب بس الحمد لله ليه اسمه وسمعته، وحيد وماليش إخوات، والدي لبناني وأمي مصرية ويمكن دي أول مرة آجي فيها مصر

قالت له مستغربة:

- معقولة يا جاد؟

- آه يمكن أنا جيت تنفيذًا لرغبة والدتي في إني أتعرف على جدتي و خالي وعيلة أمي كلها

- هو أنت مشوفتهمش ولا مرة في حياتك حتى وإنت صغير؟

- للأسف لا، لأن أمي ولدتني في نيويورك وعاشت حياتها كلها

مع والدي هناك وبالتالي عمري ماخرجت من أمريكا، كانوا هما بيشوفوا صوري إللي أمي كانت بتبعتلهم بس ماكنتش بتلاقي أي استجابة منهم

سألته أنا:

- وليه ماكنش في استجابه منهم؟

- لأنهم للأسف ماكنوش موافقين إن أمي تتجوز والدي من الأساس، إنت عارف العادات والتقاليد ماكنتش راكبة على بعض وبالتالي حصل خلاف عائلي كبير

- وبالتالي إنت جاي تحل الخلاف ده

- مش بالضبط وصية والدتي قبل ما تتوفى إني أفضل على صلة بيهم بس خايف إن صبري مايكونش كبير واستحمل

تذكرت في ذلك الوقت أن لينا قد أخبرتني سابقًا بأن مدة إقامة جاد الترك هي شهر وقبل أن أسأله ذلك السؤال سبقتني لينا إليه قائلة:

- طيب وتفتكر إن شهر مدة كافية؟

- قصدك إيه؟

- أقصد موضوع عيلة والدتك و موضوعنا إحنا الاتنين

- موضوع عيلة والدتي مقدور عليه أما بالنسبة لموضوعنا فأنا ممكن أمد الإقامة لو حبيت ولو على الشهر أنا أقدر أخلي كل دقيقة في كل يوم سنة بالنسبالنا

سكتت لينا دونما تعليق، من جهتي فقد رأيت أمامي رجلاً عاشقًا في

يده زمام الأمور ولديه من الإصرار أن يكون إلى جانب من عشقها حتى ولو كانت في آخر أسقاع الأرض لذا لم أرى أي مشكلة فيه سوى شخصيته التي قد تظهر غير مريحة إلى الآخرين، ومع ذلك فإن شخصية لينا لها القدرة على السيطرة مهما بلغ عنفوان أو جموح أي شخصية أمامها وتأكيدًا على إصرار جاد قال لها:

- لينا أنا هقلك بصراحة، أنا معجب بيكي جدًا من أول يوم شوفتك فيه، حاجات كتيرة جدًا جذبتني ليكي ويمكن زي ما شادي قالي أنا عمري ما لاقيت ولا هلاقي زيك، يمكن طريقتي في تقديم نفسي غريبة شوية بس معلش في الأول وفي الآخر يهمني راحتك في العلاقة بينا

شعرت أن لينا لديها من الكلام الكثير لتبوح به إلى جاد، لقد فتح باب المشاعر بينهما أخيرًا وأعلم تمامًا أن لينا تكن في داخلها الحب والإعجاب تجاه جاد كما يكن لها الحب والإعجاب، لذا استأذنت في أول لحظة مواتية ووقفت على قدمي، وعندما فعلت ذلك صاحت في لينا في فزع قائلة:

- إنت رايح فين وسايبني؟
- متقلقيش راجعلك تاني
- استنى محتاجة أقولك حاجة

تبعتني وهي تهرول ورائي بكعبها العالي حتى أوقفتني عند باب القاعة وهمست بطريقة بائسة:

- أنا خايفه

- من إيه بس؟

قالت وهي تنظر إلى جاد الذي كان ينظر إلينا بدوره وهو يجلس في منتصف القاعة:

- حاسه إن في حاجة غلط

- غلط في إيه إيه الغلط؟ نسيتي لما قولتيلي في التيليفون ليلة عيد الميلاد ولمحتي إنك معجبة بيه وإنه نصك التاني، يبقى خلاص، المسألة كلها إنك مرتبكة زي ما هو مرتبك بالضبط

- إيه ده بجد؟ هو باين عليه الارتباك؟

- وبنفس درجة ارتباكك أنا إللي كلمته وأنا إللي قعدت معاه وعارف بقولك إيه

- مش عارفه بقى

نفذ صبري وانفجرت:

- على فكرة انتي بتتصرفي ولا العيال كده إنتي باينه إن معندكيش ذوق يلا يا بت بلاش دلع جاد قاعد لوحده هناك ومستنيكي فرصتك قدامك بلاش تضيعيها.

نظرت إلي في سكون لا ينسى واستدارت لتعود إليه مرة أخرى، راقبتهما وأنا وأقف بالقرب من باب القاعة لدقيقة أو لدقيقتين ثم خرجت، ليس خارج المطعم وحسب، بل خارج المركب النيلي بأكمله،

وقفت كالسابق عند طرف الجسر الذي يربط المركب بالشارع والرصيف المقابل، وبعد استرجاع كل ما سبق من أحداث في تلك اللحظة تذكرت إنه قد كتب علي أن أكون شاهدًا على مشاعر الآخرين، مرة أخرى، كنت في الداخل وفي الخارج أيضًا.

لم يكن هناك ما يثير الاهتمام خارج المركب النيلي، كان الناس يدلفون ويخرجون دون أن يلتفت إلي أي أحد، باستثناء القمر الذي أمضيت وقتًا طويلا أحملق فيه دونما ملل، شيئًا فشيئًا اقتنعت بأنه عندما تكون هذه الفتاة في قمة سعادتها أو عندما تقبل على خطوة جديدة في حياتها الشخصية أو العملية يكون القمر كاملا مكتملا يشع نوره في سواد الليل وسط النجوم، ولم أر الأمر من زاوية خرافية بل كنت أراه واقعًا من أحداث ذات علاقة بالقصص والروايات الخيالية، وبينما كنت أفكر في مصير لينا وذلك الحب الفجائي الذي ظهر بظهور جاد الترك في حياتها، سمعت صوت مألوفًا أجبرني على الخروج من حالة صفاء الذهن والتفكير، كانت سحر مجددًا

– معقولة؟ أنت هنا يا شادي؟ واقف بره كده ليه؟

– لا أبدًا، كان معايا تيليفون بس وجوه دوشه فحبيت أخرج أتكلم في الهدوء ومنه أشم هوا

– إنت لوحدك ولا معاك حد؟

جاوبتها بفتور:

- لو لوحدي أكيد مش هاجي مكان زي ده أنا جيت مع لينا وقاعدين في دار القمر

ابتسمت ببهجة وقالت:

- بجد طيب معقولة سايبها لوحدها وواقف هنا؟

- على فكرة لينا معاها حد مش هينفع نقاطعهم

- تعالى بس

وأمسكتني من يدي لتجرني مجبرًا معها الى الداخل، وعندما اقتربنا منهما كان الوضع مختلفاً تمامًا مقارنة بأول لقائهما معًا، كانا ينظران إلى بعضهما البعض وكأن سؤالا قد سئل لتفيض معه مشاعرهما الجياشة وقد إختفى كل أثر للارتباك، كان وجه لينا ملطخًا بدموع السعادة بالحب أما جاد الترك فقد كان يتوهج تمامًا، ودون أي إيماءة تصدر منه كانت الفرحة ظاهرة عليه بشكل واضح

- لينا إزيك يا قمر؟

تفاجأت لينا بدخولها فجأة لتقطع عليها وعلى جاد ذلك الجو الرومانسي بينهما، ولم تجد لينا أمامها سوى أن ترد عليها السلام وتعرفها على جاد، صافح جاد الترك وسحر بعضهما البعض وكان واضحًا من خلال نظراتها التي دارت بين لينا وجاد أنها قد شعرت بشئ يدور في الأجواء بينهما وقبل أن تنبس سحر بأي كلمة قلت لها:

- تعالي يا سحر نقعد مع بعض شوية

- بجد؟ ياريت

ثم وجهت كلامها للينا:

- شكلك مشغول هكلمك بعدين ياروحي

كانت شخصية سحر من النوع المفتوح على الآخرين، لا يمكن لأي شخص يمر أمامها إلا وتتعرف إليه وإن أمكن تعقد معه علاقة، على الأقل لها ذلك النوع من المجتمع الذي تعرف كيف تعيش فيه، كان ملبسها يليق بمركب نيلي ليلي، ذلك القميص الأبيض ذو الصدر المفتوح قليلا ليبرز مفاتن أنوثتها و الجيبة السوداء القصيرة والحذاء ذو الكعب العالي دون نسيان مجوهراتها التي زينتها لتضفي على مظهرها وعلى الناظر إليها جمالاً أخاذ، لدقائق لم تشح بنظرها عن لينا وجاد حتى سألتني ما كنت أتوقعه:

- هو مش ده الراجل اللبناني إللي رقص معاها يوم عيد ميلادها ولا أنا غلطانة؟

- ايوه هو

- أااااه، حاسه من منظر قاعدتهم مع بعض كده إنهم عاشقين بعض

- سحر موضوع لينا وجاد ده توب سيكرت تكتمي عليه مش عايزين حد يعرف إن بينهم علاقة دي حياتها

بتردد في صوتها وتلعثم قالت:

- آه طبعًا طبعًا حياتها وربنا يوفقها

ثم غيرت الموضوع

- قولي بقى إنت أخبارك إيه كده؟ أنا ليه مش بشوفك إلا كل حين وحين وصدفة كمان؟

لم يكن حواري مع سحر هادفًا أو ذا مغزى، كان كلامها عن ملابسها وعن مظاهر حياتها، كيف بدأت مشوارها الفني، وعن عدد معجبيها على صفحات التواصل الاجتماعي، لم تتحدث عن نفسها وعن حياتها الشخصية مطلقًا لذا فقد كانت دائمًا شخصية غامضة بالنسبة لي.

انتهى حواري مع سحر بانتهاء لقاء لينا وجاد، وبالنظر إلى وجههما سويًا كانا في قمة السعادة، شعرت سحر في تلك اللحظة أن عليها الاستئذان من باب اللياقة وهو الأمر الذي جعلني أتنفس الصعداء، وعندما خرجنا نحن الثلاثة من المركب النيلي وعند السيارة الخاصة بجاد سألت من باب الاطمئنان وبشكل مازح:

- هاا طمنوني كل الأمور تمام ولا إيه؟

ضحك الاثنان سويًا وهما ينظران إلى بعضهما البعض ليرد جاد قائلا:

- آه الحمد لله، ما بتمناش حاجة في الدنيا دي كلها غير إني أكون معاها على طول

- طيب حلو وإنتي يا ست لينا؟

سكتت ولم تعلق خجلا فقلت لها:

— بس كده يبقى زي ما بنقول السكوت علامة الرضا.

تلك اللحظة طبع شكل لينا وهي تضحك و وجهها يشع نورًا ورضا في ذاكرتي أبدًا، وكأن كل أشكال الهم والحزن قد زالت ليصبح كل شئ من الماضي وفي طي النسيان، أصبح الآن جاد هو كل شئ بالنسبة لها، تتحدى به العالم بعد أن كانت تتحدى العالم بنفسها فقط، أصبح لديها سبب للمضي قدمًا، ذكرني ذلك الموقف بما قاله لي أبي ذات مرة إنه مهما بلغت درجة الحزن والاسى في حياتك ومهما تعرضت من صعاب و أزمات، يومًا ما ستلتقي بشخص ينسيك ألمك في الحياة، ولكن أيًا كان هذا الشخص في حياتك، إن قرر البقاء معك فتمسك به، وإن رحل، احرص علىأن يكون ذكرى في حياتك ليس إلا، تلك اللحظة تمنيت أن يبقى جاد في حياتها حتى تدوم تلك الابتسامة في وجه لينا إلى الأبد.

(13)

أصبحت علاقتي قوية بجاد الترك بعد لقائه العاطفي الأول بلينا، تدريجيًا أصبحت مقربًا منه لدرجة كافية تجعله يبوح لي بأي شئ تقريبًا، كان اتصاله بي يوميًا ليبخرني عن مواعيد اجتماعه مع لينا وأحيانا أخرى ليسألني عن طبيعة الهدايا التي تليق بها و عن الأماكن المناسبة للقائهما، كان جاد الترك حريصًا دائمًا على أن أكون متواجدًا معهما قدر الإمكان، وربما يكون هذا غريبًا بعض الشئ لما فيه من إحراج لكن بالنسبة لجاد كان يريد أكبر قدر من الدعم لهذه العلاقة من خلالي، ومن وجهة نظره كان السبيل الوحيد لذلك هو أن أكون حاضرًا شاهدًا على علاقته بها.

أما لينا فلم تخبرني بما دار بينها وبين جاد تلك الليلة، كما أنني لم أسألها، وتركتها تبحر بمشاعرها في بحر الحب، كنت حريصًا على ذلك المقدار الكبير من خصوصيتها لاقتناعي الشخصي أن الفتاة بطبيعة الحال عندما تحب شابًا فإنها تخفي حبها في قلبها الملئ بالأسرار المتواترة، وتحاول بكل جهد لها أن تجعله في قلبها، مهما حاولت أن تصرح به، في النهاية هناك دائمًا مكان مغلق للأسرار.

وفي اليوم التالي من اللقاء كانت لينا تبدو أكثر نشاطًا وسعادة في العمل، للمرة الثانية لم تكن مع الأستاذ حسن في مكتبه، وهو ما أثار

استغرابه واستغراب طه ولمياء، فهي قلما ما تعمل معهما في الريسبشن، حتى إبراهيم الذي يرى كل شئ بأم عينيه ويتعامل مع الأحداث الجارية كأهداف سهلة للمعرفة كان يرى لينا كما لم يرها من قبل، كحال الجميع الذين حاولوا أن يفسروا ما طرأ عليها من تغيير دون أي جدوى، بحكم قربي منها كان التفسير الوحيد هو أن تكون الفرص سانحة ليها لرؤية حبيبها دون أن تكون معزولة عنه، وأتذكر أنه في لحظة من اللحظات في ذلك اليوم خرج الأستاذ حسن من مكتبه وقال لها:

– إيه يا لينا سايباني لوحدي ليه إنهرده؟ ده حتى مصبحتيش عليا ينفع كده؟

ردت عليه بلباقة وهي تبتسم له:

– معلش يا ريس لاقيت الشباب هنا الشغل كتير عليهم فقلت أساعدهم وأهو بالمرة أتابع واظبط شوية حاجات كده

نظر لها نظرة راضية وقال:

– طيب ياستي ربنا معاكي، شدو حيلكم يا شباب عايزين الهمة مش هوصيكم

وبرغم أنها قد أضفت علينا أجواء المتعة في العمل لنتغلب على التوتر والضغط المستمر، إلا أن ذلك لم يرح لمياء نفسيًا إذ كان واضحًا عليها الانزعاج وعدم الاقتناع بما يدور من حولها وأخذت في الحديث مع طه كعادتها عن ما يجري ويدور في الأجواء مع لينا، وبما أنها تعرف أنني

قريب جدًا من لينا فلم تجرؤ أن تسألني عن حالها لتشبع فضولها، شئ ما بداخلي كان يخبرني أن لياء كانت تضع احتمال وجود علاقة مع جاد الترك على الطاولة إلا أنها لا تملك البرهان الملموس لذلك.

لم يكن هناك أي ظهور لجاد الترك في الطابق الأرضي ما جعلني أطمئن لعدم رؤية هؤلاء القناصة من حولنا له فيهيجون كالبركان، جزمت أنه لا زال في غرفته وإن خرج فسيكون في أي مكان آخر عدا الطابق الأرضي، أما لينا فكانت تمسك بهاتفها وتتحدث مع جاد عن طريق رسائل الواتس أب النصية وبحكم أنني كنت أقف بجانبها في الريسبشن كنت أقرأ بطرف عيني ما يرسلاه لبعضهما البعض، فعندما كان جاد يرسل صورة شخصية كرتونية تحمل كلمة love you يكون رد لينا عليه بقلب أحمر كبير إلى جانبه إله الحب في الميثولوجيا الرومانية كيوبيد، وهكذا دواليك كان الحوار بينهما، سألته لينا في إحدى رسائله له:

- إنت فين؟ أنا مش شايفاك لا هنا ولا هنا
- حبيبتي معلش أنا في الغرفة حاليًا مقومتش لسه من السرير
- إنت كنت سهران بتعمل إيه؟ ده إحنا حتى مطولناش في قعدتنا في النيل
- أكيد كنت سهران، حد يشوفك وميسهرش يا جميل كنت بفكر فيكي

:D

- على فكرة أنا حاولت أدور عليكي إنتي وشادي على الفيس بوك مش لاقيكم

- بجد؟ هبعتلك لينك الأكاونت بتاعي وبتاع شادي حالا.

- حلو طيب ناوية على إيه إنهرده؟

- مش عارفه

- بفكر نخرج في مكان

- طيب خلاص سيبني أرتبهالك وهكلمك

لاحظت لينا أنني أراقبها وهي تراسل جاد بهاتفها فابتسمت وأرجعت خصلة من شعرها خلف أذنها وقالت:

- إيه يا شادي؟

- إيه؟ إنتي إللي إيه؟ يابختك ياعم بقى في إللي وآكل عقلك خلاص

- طيب بس شوف شغلك خلينا نخلص اليوم ونفتك بقى

مضى الوقت سريعًا بحيث لا أتذكر ماحدث بعدها لكنني أتذكر أن تلك الليلة لم تمض ساعة بعد دخولي إلى منزلي، إذ اتصلت بي لينا لتخبرني بأنها اتفقت مع جاد الترك على قضاء السهرة في بودا بار بفندق سوفيتيل الجزيرة، وقد أصرت على أن أكون متواجدًا معهما بحجة أن تلك الأجواء في هذا المكان لم أرها من قبل، وهو ما حدث، استجبت لإصرار لينا ظنًا مني أنها ستكون أكثر اطمئنانًا لتواجدي معها خاصة وأنها في بداية

علاقتها مع جاد، أما جاد الترك فلم تكن لديه أي مشكلة مطلقة في وجودي من عدمه.

شعرت وأنا أدخل هذا المكان بمدى قزم حجمي في ذلك العالم الكبير، لوهلة من الوقت سألت نفسي سؤالاً، ما الذي يفعله شخص متواضع في نفسه وفي حياته في هذا المكان، بل وناقضت نفسي إذ تذكرت حينما قلت للينا:

(لينا.. جاد ده من دنيا وإنتي من دنيا تانيه خالص وده كفيل إنه يخلق مشاكل أيًا كان نوع المشاكل دي)

وبالنظر إلى حياتي قبل معرفتي بلينا تساءلت عن المجهول الذي ربما ينتظرني كنتيجة تواجدي في هذا المكان، كان بودا بار مكان واسع وكبير لا يرتاده إلا الطبقة العليا وصفوة المجتمع، قيل لي إن له فروع واسعة في مختلف دول العالم، لفت نظري أن الديكورات الخاصة بالمكان ذات طابع أسيوي، كافيه ومطاعم، و دي جي له من الخبرة أن يعلم الأذواق الخاصة بمرتادي هذا المكان، كانت الفئة العظمى من المتواجدين هم من الشباب بداية من سن السابعة والعشرين وحتى الخامسة والثلاثين على أقصى تقدير، على الأقل هذا ما رأيته بعيني، ومع تعدد أشكال وأنواع الموسيقى و تلاعب المؤثرات الضوئية كان الجميع يرقصون في دوائر حول تمثال بوذا الضخم الذي توسط المكان وكأنهم من عبدة الأصنام.

لم يواجه جاد الترك أي صعوبة في هذا المكان من بداية دخوله كحالي

أنا، إذ شعر وكأنه في ولاية نيويورك تمامًا، وأخذ يتصرف بتلقائية و يرقص ويتمايل ويلهو ويقفز كالآخرين تمامًا، بدا لي أنه كان يرتاد مثل هذه الأماكن في نيويورك من خلال طريقة كلامه و تصرفاته، مجددًا أثار في نفسي الريبة والقلق.

أما لينا فقد كانت تشعر بسعادة بالغة وهي برفقة جاد الترك، كانت تتفاعل مع الأجواء بنفس درجة تفاعله، شعر جاد أنني لا أشعر بالارتياح لتواجدي في المكان وحاولت لينا معه أن تخفف عني وقالت:

- مالك؟

- المكان مش مريح خالص

- يا شادي حاول تبسط نفسك شوية وتغير من حياتك أجواء جديدة ومكان روش آخر حاجة فك كده

وضع جاد يده على كتفي وقال:

- اسمع الحياة مش كلها جد خليك كووول خد اشرب

- إيه ده؟

- لا متقوليش إن في حياتك مشربتش خالص

- دي الحقيقة فعلا

- طيب خد من إيدي، جرب بس الشوية دول لو معجبكش متشربش تاني

نظرت إلى لينا لأجدها تومئ برأسها لأقل منه تلك العزومة النكراء

ولم أجد نفسي إلا مجبرًا على القبول، كانت تلك المرة الأولى في حياتي التي أشرب فيها خمرًا، برغم أن طعمه كان غريبًا إلا أن ماشربته جعلني وبطريقة ما اندمج مع كل من حولي، الموسيقى صاخبة، الكل يرقص ويصيح بجنون، الأضواء بمختلف ألوانها تتخلل الدخان الصادر عن جهاز ينفثه باستمرار، كان كل شئ كضباب معتم يغلف كل شئ من حولي، كان جاد ولينا يرقصان مع بعضهما البعض، أما أنا، ولا أدري إن كان ذلك حقيقة أم سرابا من أثر الثمالة، وجدت نفسي مع سحر وهي ترتدي بدلتها الحمراء الخاصة بالرقص، كانت كل مفاتنها الأنثوية أمامي تتلألأ كما الأضواء من حولي، كانت ترقص وتتمايل بطريقة مزجت فيها الشرقي بالغربي، وجدت نفسي مسحورًا ومفتونًا بها لا أتحكم بنفسي مطلقًا، أرقص معها بلا توقف.

تلك الليلة سقطنا جميعًا في حمى من الجنون الكيميائي، دفقات من السعادة اندفعت منا جميعًا، فجأة بدأت أحب تلك الحياة الليلية أكثر وأكثر، جلست على إحدى الكراسي بعد معاناة من وصولي إليها وسط هذه الجحافل الجامحة وصراع مع الجسد المخدر، وأخذت أنظر بتمعن إلى كل من حولي، فتاة تشرب الويسكي والفودكا بلا توقف، ونادل لا ينفك إلا ويفتح الزجاجة تلو الأخرى، وشاب يتبادل القبلات مع فتاته أثناء رقصهما وهكذا كان حال أغلب المتواجدين.

لم يكن لدي فكرة كيف وصلت إلى المنزل، ولكني أعرف أني استيقظت

ولدي شعور غير مريح، شعورٌ قوي يخبرني أن الليل كان رفيقًا للينا وجاد وحدهما فقط.

سأل الدكتور مصطفى مستغربًا من شعور شادي حول ما قاله:

وحدهم؟

أه يا دكتور مصطفى لوحدهم

اعتدل الدكتور مصطفى في جلسته وقال:

وأنت عرفت ده إزاي؟

لقيتها بتتصل بيا الصبح و بتقولي أنا مستنياك أخدت الدش التمام وفوقت ولبست بدلتي ونزلت لقيت السيد جاد الترك قاعد جمبها في العربية وهو منتشي وسعيد كأن حد وصل لقمة إشباع رغباته، منظره ده زاد من خوفي وشكوكي.

نظر له الدكتور مصطفى وهو يومئ برأسه مستنتجًا ما يكون قد حدث بالفعل دون أن يعلق بكلمة

هكملك إللي حصل

كان تواجد جاد الترك مع لينا في سيارتها وفي منطقة مسكنها بمثابة صدمة كبيرة لي، فآخر ماكنت أتوقعه هو أن يقضيا ليلتهما سويًا في بيت لينا، رغم تحذيراتي المسبقة والمتكررة من الانجراف سريعًا وراء هذه العلاقة، تسمرت في مكاني لحظات، وأخذ عقلي يهيم في تخيلات ليلتهما سويًا، لتدور تلك الأسئلة الشيطانية في عقلي، كيف ومتى ولماذا؟

أفاقني صوت بوق السيارة من شرودي لأسمع لينا تقول:

- يلا شادي اركب مافيش وقت

ركبت في المقعد الخلفي ولم أنطق بأي حرف طوال الطريق إلى الفندق وكانت لينا تنظر إلي من مرآة السيارة أثناء قيادتها، كنت عابسًا وحزينًا جدًا ولم أكن أدري كيف أنفس عن غضبي، و تساءلت عن الطريقة التي سأسألها بها، استنتجت لينا من خلال كل تلك المشاعر السلبية إنني أحتاج إلى إجابة مقنعة منها، وعندما وصلنا أخيرًا إلى الفندق ودخلنا نحن الثلاثة سويًا، كانت الأعين لا تزال ترصد لينا وقصتها مع جاد الترك لتتعاظم الشكوك حول تلك العلاقة التي تكاد أن تكون مشبوهة من وجهة نظرهم.

- يلا باي هشوفكم بعدين

هكذا ودعنا جاد قبل صعوده إلى غرفته لم يقل أكثر من ذلك، كانت عيني تراقبه حتى أقفل باب المصعد عليه وتسمرت مجددًا في مكاني، قالت لي لينا:

- شادي إنت فيك حاجة؟

نظرت إليها في عتب شديد ولم أرد عليها واكتفيت بأن أدير ظهري لها وأتوجه ألى الريسبشن لأباشر عملي، استمريت في ردة فعلي تلك حتى منتصف الليل ومن شدة الضيق استأذنت من الأستاذ حسن لآخذ قليلاً من الراحة ومن ثم أتابع عملي، وجدت نفسي مضطرًا إلى الخروج خارج

الفندق بأكمله وأثناء خروجي قال إبراهيم:

- إيه يا نجم مالك على الصبح؟

- مافيش مخنوق شوية مش أكتر

بعدها بحاولي عشر دقائق وجدت لينا خلفي وهي تقول:

- شادي

أجبتها بحنق شديد:

- نعم

- إنت زعلان مني في حاجة؟

- إنتي شايفة إيه؟

- لو سمحت رد على سؤالي

- آه زعلان ومخنوق منك كمان، إنتي إيه بالضبط؟ إزاي أصحى الصبح وأنزل قلاقي جاد معاكي في العربية؟ ده ملوش تفسير غير إنه كان معاكي في البيت

- طيب ممكن تديني فرصة أشرحلك؟

قاطعتها:

- إنتي إزاي تعملي كده؟

- إنت فاهم غلط أرجوك اهدى وأنا هشرحلك كل حاجة

أخذت نفسًا عميقًا ونفخت بشدة وتركتها تشرح الموقف

- هو فعلا كان عندي في البيت بس ورحمة م ما في تربتها مافيش

حاجة من إللي في دماغك حصلت، هو حاول يقرب مني ويبوسني بس أنا منعته وصديته، اكتفينا بس إننا نتكلم و نعترف بمشاعرنا مش أكتر، أنا لسه بنت وبشرفي يا شادي.

نظرت إليها وقلت:

- لينا؟

- والله العظيم ماحصلش حاجة

- إنتي متأكدة من إللي بتقوليه؟

- زي مابقولك كده بالضبط دي الحقيقة

- لينا للمرة المليون بقولك جاد من دنيا وإنتي من دنيا تانيه خالص خدي حذرك

- أنا عارفه متقلقش، خلاص بقى بطل البوز إللي إنت ضاربه ده

أخذت أبحلق فيها حتى أجبرتني بطريقتها على الابتسام سريعًا وكأن شيئًا لم يكن، لكن كل ماحدث لم يكن يدفعني إلى القلق بقدر الارتياب من همسات من حولنا في الفندق، كنت أدعو الله أن لا تبوح سحر بأي شئ عن ليلة تعارف جاد ولينا خاصة وأن لها علاقات وطيدة ببعض زملائنا في الفندق، وأخذت أرى وأترقب كل من حولي وبالأخص لمياء التي كانت ترمي الكلمات وتبوح بها هنا وهناك تاركة الآخرين لخيالهم الواسع، شعرت وقتها بخطر كبير سيصدر من جانبها عاجلا أم آجلا، و حاولت عدة مرات أن أنقل إلى لينا ما يدار ويحكى من وراء ظهرها ولكن

دون جدوى، كان رد فعلها دائمًا هو عدم اللامبالاة والاكتراث.

يومًا بعد يوم أصبح تعلق لينا بجاد أقوى من أي وقت سبق، قوي لدرجة الهوس به، عاشت معه أحلى اللحظات، حتى الأماكن ارتبطت بذكرياتها معه، فلا أنسى تلك الصورة التي التقطها بنفسي لهما في سفح أهرامات الجيزة، و ذلك الفيديو المصور الذي وثقت فيه مغامراتهما معًا في بحر شرم الشيخ، وآخر وثقت فيه ممارستهما لرياضة الجولف، و آخر أثناء تجوالهما في المراكز التجارية، وفي النيل ليلا كانت المشاعر تتقاربُ أكثر، حرصت لينا أن تُعرفه على أصدقائها ليندمج أكثر في المجتمع.

كان عطاؤها له غير محدود أبدًا، وفي إحدى المرات لم أكن متوجدًا معهما لذا اتصلت بلينا لأطمئن عليها:

- شكلكم كده اتبسطوا إنهرده

- يعني المهم يكون هو مبسوط وسعيد

- أكيد طبعًا لازم يكون مبسوط وسعيد في إيه أكتر من إللي بتعمليه علشانه؟

- لا لا أبدًا حاسه إن في حاجة بتحصل معاه ممكن كان بيحس بالسعادة مع حد تاني، وتقريبًا أنا بعيدة كل البعد عن ده

- مش فاهمك

- حاسه إن في حد في حياته ويمكن حاجه مش حد مش عارفه

- نعم؟ ؟؟

امتزج صوتها ببكاء مكتوم

- زي مابقولك كده حاسه بالعجز لأني مش قادرة أخليه يفهمني ويفهم طبيعة حياتنا صح ،بذلت كل ما في وسعي علشانه وقدمت تنازلات قدر الإمكان، لكن هو، حاسه زي ما مايكون كل واحد فينا واقف في طرف فجوة ومش قادرين نعديها زي ما يكون في حاجه بتدفعه للهرب.

حاولت أن أخفف عنها وقلت:

- لينا مهما عملتي مش هتقدري تغيري من طبيعة وحياة كل حد تقابليه أو تعرفيه

- مقدرش؟ ؟

- خالص

- إنت غلطان يا شادي طبعًا أقدر مافيش حاجة في الحياة مستحيلة، خد نفسك إنت مثال كنت قافل على نفسك لفترة طويلة في حياتك ودلوقتي إتغيرت بمساعدتي ليك، مش عايزاك تفهمني غلط، أنا عايزة أقول إن طالما نجحت معاك يبقى أكيد هنجح مع جاد كمان.

تحدثت كثيرًا عن إصرارها في تغير جاد ليلائم حياتها، كما لو أنها أرادت أن تثبت شيئًا من وراء ذلك، مجرد رؤيتها لنفسها وهي تعشق جاد الترك جعلها تدرك أن الطريق لم يكن خاليًا أبدًا من العقبات، وفي ليلة قمرية وجدت لينا نفسها في غرفة جاد الترك على غفلة من الجميع

تحاول معه أن تفهم ما يعيقه، طيبة قلبها هو ما دفعها إلى ذلك لكن جاد الترك فقد كان يعلم تمامًا ما يريده منها

وهو تقبيل تلك الفتاة البريئة أمامه

كانت ترغب في احتضانه أبد الدهر

روت لي كل ماحدث وكأنها ترغب في تكرار الماضي أبدًا وأردفت:

- حسيت إني عايزه أقف لحظة معاه، وقفت، و تأملت في عنيه، وكانت دي أطول وأجمل لحظة

علمت أن عقلها لا يمكن أن يتحرر من هذا أو يكون كعقل شخص عاقل يتفكر ويتدبر، وأن الوقوع في الغرام سيغير من حياتها وقدرها إلى الأبد

- وبعدها سبت نفسي ليه

لقد تبرعمت لـه كزهـرة، وأصـرت بـل وأقـسمت، أن الأمـر لم يتعـد القبلات، حتى وهي مستسلمة تمامًا له كانت تملك فـرض الـسيطرة علـى زمام تلك العلاقة، وأردفت:

- ممكن تكون بتقول جوى نفسك إن الوقـوع في حـب جـاد الـترك كان غلطة كبيرة من الأساس أنا عشت حياتي كلها بتألم وبتعذب رغم كل النجاحات والطموحات إللي حققتها يمكن لو مكنتش قبلـت إنـي أرقـص معاه من البداية مكنتش حياتي هتتغير بالشكل ده كانـت هتفـضل حيـاة طبيعية ماشية في خط مستقيم

ضحكت ضحكة سخرية ممزوجة بالدموع والألم

- وده الواقع وإللي مش قادرة أتعامل ولا أتفاهم معاه

رددت عليها قائلا:

- يمكن تكوني إنتي فاهمة غلط ممكن يكون محتاج شوية وقت

- ومين عارف؟

ساد الصمت والسكون في مكالمتنا الهاتفية تلك لثواني قاتلة لتقول بعدها:

- أنا هقفل معاك دلوقتي

- ماشي، بس متحطيش الموضوع ده في دماغك كتير الأمور بسيطة

وأغلقت الخط وفجأة أرسلت لينا رسالة نصية على هاتفي تؤكد فيها كلامها:

(نسيت أقولك إنك غلطان في نقطة التغيير يا صديقي العزيز والله العظيم إنت غلطان)

أخذت وقتًا طويلا أفكر في كل ما قالته لي لينا بشأن تلك الليلة، وأخذت أعيد النظر في كل تلك الأيام التي وقفت فيه شاهدًا على علاقة جاد الترك بها ،كل تلك الأحداث، وكل تلك الكلمات والأحاديث بينهما، كل شئ، واتخذت قرارًا أن أبحث على أي دليل أو برهان حتى ولو كان صغيرًا، لذا ألهمني الله أن أبحث في حسابه الخاص على الفيس بوك، وأخذت أنظر في الصورة التي نشرها في حسابه، كانت أغلب تلك الصور تجمع بينه وبين فتاة تدعى سارة تاج الدين لبنانية الجنسية،

يعود زمن تلك الصور إلى ثلاث سنوات مضت، و بالدخول والنظر إلى حسابها الشخصي فهي حاصلة أيضًا على الجنسية الأمريكية و مقيمة في دبي، كل ما أذكره عن شكل سارة تاج الدين من خلال صورها أنها كانت فتاة مصطنعة الجمال لا تستقر على لون شعر محدد، كما العدسات الملونة، أما وجهها فكان صارخًا بمستحضرات التجميل، ناهيك عن ذكر الملبس المفتوح كالشورت والبناطيل الضيقة والقمصان المثيرة، وكحال جاد الترك فكان على كتفها أيضًا وشم وهو عبارة عن ورود حمراء يتوسطها طير الحمام.

كنت متيقنا بأن جاد ربما لا يزال على علاقة بتلك الفتاة لسبب أو لآخر، وبالنظر إلى الأمور عن كثب فجاد لا تجمعه أي صفة مشتركة بينه وبين لينا على الإطلاق كما هو الحال مع سارة تاج الدين التي لا أعلم عنها سوى هيئتها فقط. ليتضح في نهاية الأمر أنه بالرغم من إعجاب جاد الترك بلينا إلا أن الحب والغرام بينهما كان من طرف واحد فقط دون أن يبادلها جاد تلك المشاعر، في ذلك الوقت تساءلت عن ما قد يتطلبه الأمر لتدرك لينا أنها بالنسبة لجاد مجرد جسد وكيان لأجل المتعة وقضاء الوقت السعيد هنا وهناك فقط، كانت مسألة وقت لأدرك أن مخاوفي قد بدأت في التحقق أخيرًا.

(14)

مضت أيام تغير بعدها جاد الترك سريعًا، وأخذ يفكر مليًا في علاقته بلينا دون أن تدري، بالأحرى في فكرة تواجده في مصر من الأساس، فقبل أسبوع واحد فقط من انتهاء إقامته في القاهرة نفذ جاد وصية والدته في لقاء أسرتها التي لا يعلم عنهم شيئًا، آل موسى هو اسم العائلة يمتلكون السلطة والمال والنفوذ، منهم من يعمل في سلك القضاء و الطب و الاستثمار، و نظرًا إلى الاسم والسمعة في ذلك الوقت فلم تكن تشوبهم شائبة.

ولكن كان اللقاء على غير المتوقع ولم ينل جاد الترك الترحيب الذي يستحقه شاب عاش بعيدًا عن جزء من عائلته ولا يدري كل طرف عن الآخر أي شئ، كانت النتيجة هو طرده من منزل عائلة آل موسى شر طردة، مع تهديد و وعيد بكل ماهو شر إذا ما وقعت أعينهم عليه.

وبالعودة إلى الماضي يرجع السبب إلى أن آل موسى كانوا رافضين لفكرة تزويج ابنتهم إلى رجل غير مصري، غير معروف الحسب والنسب والأصل، وبرغم أن والد جاد قد رفض مرات ومرات، انتهى الأمر بهروب والدة جاد مع أبيه ليتزوجا في بيروت ومن ثم الهجرة إلى أمريكا.

شعر جاد الترك بالحنق الشديد على أثر ماحدث له من عائلة آل موسى، وامتد ذلك الغضب ليشمل كل شئ حتى وصل الأمر إلى الكرة

والحقد، حاولت لينا أن تتواصل معه و تلتقيه كما اعتادت أن تفعل معه ولكن دون أي ردة فعل منه، وفي أحد أيام العمل من ذلك الأسبوع الأخير، لم تكن لينا على طبيعتها هي الأخرى وكأن شعور جاد أصبح كالفيروس المتفشي الذي إذا أصاب جسد أهلكه، وعندما وصلنا إلى الفندق وبدلاً من التوجه إلى مكتب الأستاذ حسن أو الريسبشن توجهت لينا مباشرة إلى المصعد، حاولت أن أوقفها وقلت لها:

- إنتي بتعملي إيه يا مجنونة؟

ردت بعصبية

- إيه؟ طالعاله أشوف في إيه، بقالي كذا يوم مبيردش عليا ولا بيسأل حتى

- طيب أصبري بس نتفاهم

- وسع عن طريقي بعد إذنك

وبمجرد أن أقفل باب المصعد عليها التفت حولي لأجد الأعين كانت مصوبة تجاهنا، وبعد أن كانت علاقة جاد بلينا مجرد همسات أصبحت أحاديث أكثر صراحة و وضوحًا، كانت كلماتهم مريعة جدًا وأشبه بالكابوس

(شوف شوف، ده واضح إنهم غرقانين لشوشتهم على الآخر)

(إللي بتعمله ده شغل عاهرات أنا مش عارفة إزاي الإدارة سايبة واحده زي دي في الفندق)

(وعملالي فيها أم الأدب والأخلاق)

(ولسه ياما هنشوف)

(واضح إن الليلة الحمرا مكفتهاش فطالعه تكمل معاه)

(عليه العوض في الأخلاق والشرف)

(قد إيه كنا كلنا مخدوعين فيها، ياخسارة)

شخص ما قد أخبرهم بوجود علاقة بينهما، كانت مسألة وقت ليتأكدوا بأم أعينهم إنها على علاقة مشبوهة، ولم يكن لديّ ما أقوله سوى الحقيقة الوحيدة بأنه لم يكن أيا من ما يقوله الجميع صحيحًا ،أما الأستاذ حسن فقد اعتلى أعلى درجات السخط والغضب عمّا وصله من تلك الأحاديث، فمن جهة لم تكن لينا حاضرة معه لعدة أيام من أجل معاونته في بعض الأعمال التي يعتمد عليها فيها في مكتبه ومن جهة أخرى شعر بأن منصبه ووظيفته في خطر إذا ما اكتشفت الإدارة العليا بالفندق إنه يتستر على تلك الجريمة الأخلاقية.

طرقت لينا باب غرفة جاد الترك مرارًا وتكرارًا، وانتظرته لمدة كبيرة أمام بابه، وصل الأمر أنها قد طلبت من خدمة الغرف أن يفتحو الغرفة لها، ولكن لم يكن جاد متواجدًا أبدًا باستثناء أغراضه الشخصية وحقائبه، اتصلت به دون أي رد منه، وحينما فقدت الأمل في انتظارها له، نزلت ليعلم الأستاذ حسن بوجودها معنا، طلب منها المجيئ فورًا إليه وكانت تلك أول مرة أسمع فيها صراخه عليها بحيث كان في إمكان

الجميع سماع ما يدور من حوار بينهما

- إنتي مالك الأيام دي في إيه؟ ها، فهميني، إنتي عارفة إللي بتعمليه ده اسمه إيه؟ إنتي إتجننتي؟ سايبه شغلك علشان تقفي تحبيلي بره في الريسبشن؟ وكل ما أسأل عليكي إما مش موجودة أو مش فاضية أو واقفة في الريسبشن علشان حبيب القلب، أنا عايز أفهم إيه إللي بيحصل بالضبط؟

كانت لينا صامتة تمامًا أمام بركان هائج من الغضب، لم تجبه لأنها كانت مخطئة كما يعتقد الجميع بل لأن عقلها كان مشغولا بجاد الترك بحيث لم تكن تسمع ما يقوله الأستاذ حسن لها، وحين خرجت لينا من مكتبه و وقفت إلى جانبي لمباشرة العمل قالت لمياء شامتة بشكل مستفز:

- مش قولتلك يا شادي إن أنا شامه ريحه مش مظبوطة

وأمام كل تلك النظرات المفترسة والثرثرات الهاتكة لعرضها كانت لينا ثابتة وكأنها صخرة أمام رياح عاتية، ظلت هكذا حتى انتهى يومنا في العمل، وفي ذلك المساء لم ترد على أي من اتصالاتي لها ما دفعني لأن أتصل بجاد الترك مباشرة لأفهم منه ما يجري، وبعد خمس اتصالات مني رد عليّ:

- أهلين

- ممكن أعرف يا جاد في إيه بالضبط؟

- وإنت إيه إللي يهمك في الموضوع؟

- اللي يهمني إن لينا حالتها النفسية سيئة بنسببك

قال ببرود:

- أوف فعلا؟

- إنت يا أخي جنسك إيه؟ أومال كنت خاوتنا ليه بإعجابك بيها وبتحبها والقصص دي لما إنت مش جد معاها و..

قاطعني قائلا:

- شوفت إنت قولت إيه؟ معجب، معجب بيها مش أكتر أنا صحيح كنت طلبت منك إني أقعد معاها وأتعرف عليها وكده وإنت مقصرتش الحق يتقال لكن حب لا لا إنت غلطان في النقطة دي

إنفعلت عليه بحدة قائلا:

- سبق وحذرتك يا جاد بلاش تلعب بقلبها وتحافظ عليه إنت كده دوست على قلبها بطريقة قذرة دي كانت بتحبك

بهدوء أعصاب:

- والله أنا مش ذنبي إنها حبتني وبعتقد أن ده اسمه حب من طرف واحد، يا صديقي في فرق واضح بين الإعجاب والحب وبعدين إيه يعني هو أنا مش من حقي يبقى ليا في مصر معارف يخدموني لما أحتجهم

إنفجرت فيه وقلت:

- إنت عارف إنت بتقول إيه؟ إنت بتتكلم عن واحدة قدمتلك تنازلات كتيرة وضحت بسمعتها قدام الناس كلها علشانك يكون ده

جزاتها منك؟ دي أخرتها معاك يعني؟

ثم قال ناهيًا معي المكالمة:

- إسمع أنا إللي عندي قولته ومن الآخر حتى لو إنت معتقد إن في علاقة من أي نوع بيني وبين لينا فأنا أعدت نظر فيها ولو سمحت أنا مش فاضيلك ورايا حاجات عايز أعملها وانتهي.

وأقفل الخط، كنت مذهولا من ما سمعته من جاد الترك الذي لا أنسى إنه كان يتوسل لقاءها والتقرب منها، أخيرًا ذلك الوجه القبيح الموحش في داخله قد أظهره أخيرًا، كان إحساسي تجاهه جاد الترك في محله، ووجدت نفسي في مهمة صعبة لأقول لها حقيقة جاد الترك ومشاعره الكاذبة تجاهها، حاولت أن أتصل بها لكنها لم تجبني مجددًا بل وذهبت إلى منزلها واستخدمت المفتاح الذي أعطتني إياه سابقًا، وحينما دخلت بحثت عنها في كل مكان، في الغرف في المطبخ في الصالون في الحديقة وفي الحمامات، لأكتشف في النهاية أنها لم تكن متواجدة في منزلها وكأنها اختفت هي الأخرى.

رجعت إلى منزلي ولم أنم تلك الليلة، بقيت مستيقظًا مشغول البال حتى صباح اليوم التالي، أنتظرتها كعادتي كل صباح لكنها لم تأت لتقلني معها إلى الفندق، فذهبت وحدي ليزيد قلقي عليها، وحينما وصلت وبدأت مباشرة عملي اكتشفت أن جاد الترك قد غادر الفندق في تمام الساعة العاشرة مساء، أي بعد مكالمتي معه مباشرة، اتصلت بالمسئول عن

حركة السيارات في الفندق وسألته:

- ألو

- أيوه يا أستاذ أؤمرني

- لوسمحت في نزيل اسمه جاد الترك عمل مغادرة إمبارح الساعة عشرة بليل متعرفش راح فين؟

- أيوه يا أستاذ مظبوط أنا حد كلمني من عندكم وقالي إنه محتاج عربية، السواق وداه المطار

- المطار؟

- أيوه يا أستاذ المطار هو في حاجة؟

- لا أبدًا مافيش شكرًا

ولم يمض كثير من الوقت حتى لاحظ الجميع دخول لينا إلى الفندق وهي في حالة نفسية مزرية ورغم ذلك لم يرحمها أحد من الثرثرات الجارحة ، وقبل أن تأخذ مكانها في الريسبشن سألتني بصوت يعتصره الحزن والألم:

- مافيش أخبار عن جاد؟

ترددت في الرد عليها لتعلم من خلال ملامحي أن هناك أمرًا ما أخفيه عنها:

- شادي أرجوك انت عارف حاجة عن جاد؟

- بصراحة يا لينا مش عارف أقولك إيه بصراحة

- في إيه؟

- جاد غادر الفندق إمبارح الساعة عشرة بليل

اتسعت عيناها من هول وقع الخبر عليها لتصرخ صراخًا هستيريًا وتقول:

- إيه؟ بتقول جاد مشي لا لا مش ممكن إللي إنت بتقوله ده، جاد لا يمكن يسيبني إنت بتضحك عليا مش ممكن جاد يعمل كده، هو بيحبني أنا عارفة ومتأكدة

جذب صراخها وبكاؤها أنظار من حولنا حتى النزلاء ولم يستطع الأمن ومعهم إبراهيم ان يسيطروا على انفعال لينا وتهدئتها، حتى

أنا شخصيًا حاولت أن أمسكها من يدها إلا أن مقاوتها كانت صعبة للغاية

- سيبوني

هكذا صرخت فينا جميعًا ليخرج الأستاذ حسن من مكتبه ويقول

- إيه في إيه؟ إيه الفوضى دي؟ لينا إنتي نسيتي نفسك ولا إيه؟ ما يغور ولا يروح في ستين داهيه ده مكان شغل إحترمي نفسك

وبطريقة عصبية استطاعت لينا أن تخترق الجمع من حولها لتخرج من الفندق نهائيًا، كانت تأمل أن تعثر على جاد الترك، وعندما خطوت خطوتين لألحقها أوقفني الأستاذ حسن بصوته قائلا:

- شادي هتروح فين؟ إحنا مش فاتحين لدلع البنات ده وأعتقد ده

مكان شغل كفاية عطلة ولو سمحت إرجع لشغلك

- بس يا فندم أنا

وقبل أن أكمل كلامي صوت اصطدام مخيف هز قلوب كل من كان واقفًا شاهدًا على ما يجري، خرجت من الفندق لأرى كل من في الشارع يهرول على قدميه باتجاه الحادث

- يا ساتر يارب

- لا حول ولا قوة إلا بالله

كان لسان حال الجميع لا ينطق إلا بتلك الجملتين، وعندما وصلت إلى التجمع الكبير حول الحادث بصعوبة بالغة وجدت سيارتين قد اصطدما ببعضهما بقوة بالغة وعلى الجانب كان أحدهم ملقى على الأرض، أخافني المنظر كثيرًا، اقتربت وكانت لينا هي الملقاة على الأرض والدماء من حولها تسيل، كانت كجثة هامدة لا تتحرك، اقتربت منها وأخذت أصيح بأعلى صوت طالبًا للنجدة:

- ألحقوني يا ناس لينا بتموت، يا إبراهيم يا إبراهيم، حد يلحقني بسرعة البنت بتموت

لا أدري ماذا حدث بعدها ولا كيف مر الوقت سريعًا حتى وصلنا مستشفى القصر العيني بعربة الإسعاف ومنها إلى الطوارئ، تبين أن لينا تعاني من كسور عدة في جسمها و في الجمجمة وارتجاج في الدماغ أدى إلى غيبوبة، أمضت لينا ساعتين في المستشفى حصلت خلالهما على أقل القليل

من الرعاية والعناية الطبية حتى توصلت إلى قرار نقلها من القصر العيني إلى مستشفى الشيخ زايد التخصصي، وهناك لم يستطع الأطباء أن يفعلوا لها شيئًا سوى وضعها في غرفة خاصة بها تحت رحمة العناية المركزة وحينما سألت أحد الأطباء عن حالتها وعن إمكانية إنقاذ حياتها قال لي:

- للأسف حالتها صعبة جدًا وأي تدخل جراحي في حالتها دي ممكن يضر بيها أكتر خصوصًا إن الدماغ والجمجمة عندها في حالة ضرر شديد، إحنا لا نملك سوى الدعاء ولو ربنا أكرمها ساعتها هنشوف هنعمل إيه

وهكذا ظلت لينا على تلك الحال لأيام و أيام دون أي حركة واستجابة منها، رؤيتها وهي في تلك الحالة ذكرتني حينما وجدتها ملقاة على الأرض في غرفتها حينما استنجدت بي وبقيت في غرفتها حتى أفاقت من إغماأتها، الفرق الوحيد هو أنها في وضعها هذا كانت معلقة بين الحياة والموت، وصلت إلى درجة نسيان شكل ابتسامتها، وطريقة مشيتها، كيف كانت تتكلم، صوت ضحكتها، ورائحتها العطرة، نسيت حتى شكل وجهها القمري الجميل ،لم أكن أملك سوى قراءة القرآن الكريم والدعاء لها.

أما معارفها وأصدقاؤها فقد توسلت وتضرعت إليهم بل وناشدتهم لكي يأتوا ويزوروها، لكن لم يأت أي أحد من هؤلاء الذين حضروا الكثير من حفلاتها ومناسباتها ولم يتذكروا حتى تلك المواقف النبيلة منها

تجاهم، لم أجد سوى أن كتبت في صفحتها الخاصة على الفيس بوك

(يا جماعة لينا في مستشفى الشيخ زايد التخصصي وحالتها سيئة وخطرة جدًا هي ملهاش حد ومش محتاجة فلوس أنا متكفل بكل التكاليف بس أرجوكم تعالوا شوفوها وأقفوا جمبها وادعولها مش أكتر)

إنتظرت أن يستجيب أحدهم لما كتبت، ولكن دون أي جدوى، أما عن جاد الترك فقد أرسلت له رسالة خاصة على حسابه في الفيس بوك أخبرته فيها عن ماجرى وما وصلت إليه لينا بسببه، وحتى هو الآخر لم يرد على رسالتي رغم أنه قد ظهر لي أنه قد قرأها.

اتصلت بالأستاذ حسن لأطلب منه أن يأتي ويقدم أبسط أنواع المساعدة المعنوية، فكانت المفاجأة أن رد علي وقال:

– مقدرش أنا، أنا مقدرش آجي

– بس دي كانت أفضل موظفة عندك وكنت بتعتبرها دراعك اليمين وبتعتمد عليها

– لما البني آدم يوصل لحافة الموت وتبقى حالته بالشكل ده أعتقد إن الحل هو وجود بديل يعتمد عليه بدل الاعتماد على حد هينتهي خلاص

اتصلت بكل من خطر على بالي في تلك اللحظة، إتصلت بلمياء وطه وإبراهيم وسحر بل حتى بأحلام، وصلت إلى الجميع قدر استطاعتي، كنت المتبقي الوحيد لديها، وتذكرت وقتها ذلك الكابوس المزعج الذي

حلمته بشأن لينا، تذكرت منظرها وهي محاطة بأشخاص قد التفو حولها ووجوههم اتشحت بالسواد حال ملابسهم وهم يأكلون من لحمها في نهم شديد، وتذكرت نفسي وأنا مقيد لا حول ولي ولا قوة لأرى هؤلاء يأكلون لحمها العاري دون أن تشعر بالأم وهي على قيد الحياة، تلك اللحظة وباسترجاع كل ما حدث لها في ذاكرتي، فسر الكابوس نفسه أخيرًا.

وفي منتصف ليل أحد الأيام أثناء إقامتي مع لينا في المستشفى سمعت صوت أحدهم وقد أصدر جلبة كبيرة خارج قسم العناية المركزة، كان ذلك الشخص مصرًا على الدخول إلا أن ممرضًا و فردين من الأمن قد أوقفوه،

قال الممرض بعصبية:

- عايز إيه يا أستاذ؟ ممنوع بقولك مافيش زيارة دلوقتي
- عيب كده ياخينا أنا اسمي الدكتور..

قاطعته وتدخلت لأنتشله من هذا الموقف:

- دكتور شريف؟

نظر إلي وقال في لهفة وقد إغرورقت عيناه بالدموع:

- أيوه أيوه أنا الدكتور شريف أنا والد لينا

أقنعت الممرض والأمن أن يدخل الدكتور شريف مع وعد مني أن لا يصدر أي جلبة أو إزعاج في العناية المركزة وأن لايطيل بقاءه أكثر من عشر دقائق، كان الدكتور شريف يبدو كرجل قد هلكه العمر ليحصل رأسه على رصيده من الشيب وعلامات العجز ظاهرة على وجهه وبالكاد كان

يستطيع المشي، فأخذت بيده لأساعده على المشي وهو يترقب بعينيه الدامعتين ويسأل في أي غرفة ترقد ابنته الوحيدة، وحينما إقتربنا قليلا من الغرفة قال لي:

– لما قريت كلامك على صفحتها في الفيس بوك أنا كنت في ألمانيا سبت كل إللي ورايا وإللي قدامي وجريت زي المجنون وما صدقت لاقيت أول طيارة علشان آجي مصر، تصدق يابني، برغم كل العمايل إللي عملتها وبعادي عنها وسوء معاملتي ليها إلا أنها عمرها مارفضت أي اتصال مني ليها، صحيح إن كان في جفاء وهي بتكلمني، بس عمرها مقطعت العلاقة وكأنها كانت سايبه الباب موارب بيني وبينها

وعندما أدخلته ورأى ابنته في تلك الحال إجهش في البكاء ولسانه لا ينطق سوى:

– يا بنتي، ياحبيبتي يابنتي، إن شاء الله أنا ولا إنتي، تعبتي كتير يا حبيبتي، سامحيني يابنتي لأني مكنتش جمبك طول السنين دي كلها

لم أستطع أن أتحكم في مشاعري إذ أخذت في البكاء أيضًا من هذا المنظر المحزن، أخرجته من الغرفة وتمكنت من تهدأته ورويت له كيف تعرفت عليها، وكيف كانت تمضي الوقت في حياتها الشخصية، وكيف أن لها الفضل في تغير حياتي كلها، وعن ثقتها العمياء فيّ والتي دفعتها في أن تعطيني مفتاح منزلها لأستخدمه في حال تعرضها لأي سوء، حتى

وصلت لقصتها مع جاد الترك وعن الطريقة التي تخلى عنها حال كل المحيطين بها من معارف وأصدقاء.

كان الدكتور شريف ينصت إلى ما أقوله له عن حياة ابنته دون أن يعلق ولم أتمكن من إكمال حديثي معه بسبب رغبة الأمن في رحيله من المكان والعودة في الأوقات المحددة للزيارة، ووعدته بأن أعتني بها وأتصل به من وقت لآخر.

مرت أيام أخرى وحالة لينا من سيئ إلى أسوء، وفي عصر أحد تلك الأيام الاخيره سمعت لينا وهي تئن وتتألم، اقتربت منها وناديت باسمها مرارًا، كان وجهها منتفخًا تملؤه الكدمات لذا لم تتمكن إلا من فتح عينها اليمنى فقط، نظرت إلي لتذرف دمعة وقد علمت أن تلك الدمعة هي آخر ما سأراه من لينا، وبعد ذلك أغلقت عينها وكأنها نامت إلى الأبد، لأسمع بعدها صوت جهاز ضربات القلب وكان ذلك المؤشر الأخضر يسير في خط مستقيم.

علم والدها بوفاة لينا وأخذنا جثتها بعد استيفاء كل الإجراءات اللازمة، لتدفن في مقابر العائلة إلى جانب والدتها، وحتى في دفنتها لم يأت أي أحد، كنت أنا و والدها فقط، وعندما أعطيته مفتاح منزلها أمسك بيدي وأغلقها على المفتاح قائلا:

- لا يابني المفتاح كان وهيكون معاك على طول، لينا ادتهولك لسبب أنا عن نفسي لا المفتاح ولا البيت يلزموني، أنا بنتي راحت مني

خلاص، خليه معاك، لينا هترتاح أكتر في قبرها لو فضل المفتاح معاك، كتر خيرك، كتر ألف خيرك يابني على كل إللي عملته مع بنتي

وكانت تلك المرة الأخيرة التي أرى الدكتور شريف فيها، تركني في المقابر وهو منهار في البكاء يأنب نفسه على مافعله في الماضي وبقيت أنا متسمرًا أمام قبرها وقد تذكرت ذلك الكابوس مجددًا.

(15)

ساد السكون في غرفة الدكتور مصطفى الذي توقف عن الكتابة بسبب تأثره بمأساة شادي منتظرًا ان يبوح بما في صدره من ذلك الماضي المؤلم

– بعد وفاة لينا حسيت إني بني آدم تاني، بني آدم تاني عمري ماعرفته، كنت كل مافتكر الناس إللي إتخلوا عنها اتجنن وأتعصب، كنت بتمنى في كل لحظة وكل دقيقة إني أشوفهم علشان أولع فيهم بعود كبريت، إتمنيت في لحظة أن لو الماضي رجع يمكن كنت أقدر أمنع جاد إنه يقرب من لينا يوم عيد ميلادها بمكن مكنش ده كله حصل، كنت دايمًا حابس نفسي في الأوضة ومن اليأس لاجأت للانتحار أكتر من مرة، جبت كل أنواع الخمور وأدمنت عليها كلها مع الوقت، حاولت إني أفتح بطني بسكينة وفشلت، الخيار الوحيد إللي كان عندي والشيء الوحيد إللي كنت أقدر أسيطر عليه هو إزاي وإيه الطريقة إللي أموت بيها علشان أروح ليها تاني، جبت حبل وطلعت فوق سطوح العمارة علشان أشنق نفسي، لكن لسوء حظي الخشب إللي ربطت فيه طرف الحبل متحملش وزني واتكسر، فجأة لاقيت البواب وسكان الدور الأخير طلعولي واتلموا عليا بيصرخوا من الخضة، حتى الناس إللي حوليا منعوني إني أموت بالطريقة إللي أنا عايزها علشان أوصل في النهاية إن ميكونش عندي الجرأة أو القوة علشان أعمل أي حاجة، جابولي شيخ قعد يوعظ فيا

ويقرالي قرآن ويدفعني للحياة بالرغم أن مكنتش شايف أي أمل أبدًا، كنت كل إللي بفكر فيه هو إني مش هشوفها تاني.

وده إللي حصل، ألاقي نفسي معاك، في العيادة بتكلم معاك

أمتلأت عيناه بالدموع وأكمل قائلا:

– بتكلم معاك عن لينا، علشان أخسرها تاني، أنا مقهور لأني مش مع لينا عند ربنا دلوقتي، بس وبرغم ده كله مدين ليها بالامتنان لأنها كانت في حياتي

نظر إلى الأوراق في يد الدكتور مصطفى وقال:

– ودلوقتي أنا عارف هعمل إيه، هكمل حكايتها، يمكن الناس تعرف الحقيقة في يوم من الأيام

تأمل الدكتور مصطفى فيما يقوله وقال:

– إنت متأكد انك عايز تعمل ده؟

أومأ له شادي برأسه ولازالت الدموع تملأ عينيه

– طيب ياشادي على كلّ الوقت إتأخر وهحدد لك جلسة بعد يومين علشان نكمل كورس العلاج

– لو ربنا كاتبلنا العمر

* * *

إنه أنا من يكتب تلك الكلمات الأخيرة وليس الدكتور مصطفى، وبينما أكتب هذه الكلمات ليلا في المركب النيلي ذاته الذي قضيت فيه

وقتًا مع لينا أول مرة، أنظر إلى فندق الهيلتون الذي كان فيما مضى سرابًا متألقًا وحلمًا قد انتشلني من حياة قارب الفقر على إعيائها مرضًا. الآن فقط أصابني أهل الهيلتون بالغثيان بسبب خستهم ونذالتهم، وقبل أن آتي إلى هذا المكان، عدت إلى ذلك المنزل الكبير الفارغ وكان كل شئ فيه كما كان يشع فقط بذكريات من كانت تعيش فيه، تذكرت كل الأحاديث بيننا وكل تلك اللحظات السعيدة التي كانت تجمعني بها في منزلها؛ وتذكرت كيف دخل الحقد والفساد إلى قلوب معارف وأصدقاء لينا بينما وقفت أمامهم جميعًا كشخص وحيد يتحدى الجميع رغم قساوة الماضي ومرارة الحاضر.

القمر يرتفع ليزين ستار الليل ولكن دونما النجوم، ووقفت أنا حزينًا على ذلك الماضي وفكرت في لينا وهي تنظر إلى جانبي إلى ذلك القمر وهو يضيئ السماء من أجلها، برغم كل ما يحيط بها أتت لتسعد الناس وتجمعهم من حولها على أمل أن تجد فيهم الدفء والرحمة لكنها لم تكن تعلم أنها قد جمعت وحوشًا على هيئة بشر، لتعطيها الحياة درسًا قاسيًا، ولم يكن ذلك الدرس الذي كانت تتوقعه أبدًا.

بعد وفاة لينا حصلت لياء على مكانها ومسماها الوظيفي كنائب للمدير وطردني الأستاذ حسن من العمل بعد هذه الواقعة مباشرة؛ وعن الآخرين فهم الآن يتمتعون بحياتهم ودنياهم وكأن شيئًا لم يكن.

أما جاد التزل فهو يعيش الآن في دبي مع زوجته جميلة تاج الدين

حيث إفتتح فرعًا لشركته في أمريكا هناك وقد علمت ذلك من خلال صفحته على الفيس بوك بعد أن حذفني ولينا من قائمة أصدقائه.

وعن حياتي فقد عدت مجددًا كما كنت في السابق قبل معرفتي بلينا وقد توفيت أمي بعد وفاة لينا بسنة تقريبًا لأصبح وحيدًا ولا أملك سوى منزلي ومنزل لينا وبعضًا من الذكريات، حتى الآن لازلت أمر على منزلها وأقضي فيه بعض من الوقت وأعتني به وبنظافته كما لو أنها تعيش فيه.

ولم أتخلَّ عن زيارتها في قبرها حتى هذه اللحظة.

تلك هي قصتي مع لينا، إن كنتم تعتقدون أنها مذنبة فلا تلقوا كامل اللوم عليها وإن كنتم تعتقدون أنها ضحية فترحموا عليها في قبرها، قبل أن تقرروا اسألوا أنفسكم

هل يعتبر الحب والعشق والهروب من سجن الوحدة إلى أحضان الحياة وسط البشر خطيئة في مجتمع لا يرحم؟

الكاتب

ماجد عبد الله

ولد في إمارة أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 1988

درس الإعلام وفنون الاتصال وتخرج من قسم الإذاعة والتليفزيون من جامعة 6 أكتوبر في 2010

عمل مراسلاً و مذيعًا للتقارير في عدد من القنوات الفضائية الخاصة في البرامج الإخبارية والسياسية والاجتماعية

تخصص في عمل التحقيقات و"الفيتشرات" ذات الطابع الاجتماعي والإنساني.

صدر له رواية (حادثة جينزا) ورواية (قمر لينا) العمل الثاني له

للتواصل مع الكاتب

Majidabdallah10@yahoo.com

* * *





رواية

قمر لينا

كانت تدفعني من وراء كلماتها تلك إلى حب الحياة
ومن ثم قالت كلمات أخرى بدت لي مألوفة :
"ومهما حصل، حب على قد ما تقدر ومتبخلش على
قلبك، واكره قد ما تكره.. ولوم القدر إذا جارت عليك
الدنيا في يوم من الأيام و اصبر، لكن لما هتوصل للنها
لازم تسامح من قلبك"
لم أتصور للحظة، أنها سوف تقول لي وصية أمها لها
ولكن بدا لي حينئذ أن لكل وقت في حياتها وعمرها
محطة تتوقف عندها حسب الموقف وتستحضر
الذكرى لتأقلمه حسبما تعاصر!



ماجد عبد الله

